تفسير سورة الكوثر

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

(في عمود السورة وربطها بما قبلها وبما بعدها)

١- قد مر في تفسير السورة السابقة - انها نزلت في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة لما انهم افسدوا الحج ومناسكها وابطلوا حقيقة الصلوة والنحر بابطال التوحيد والمواساة بالمساكين فباؤا بالويل واللعنة، وحق لهم ان يسلبهم الله هذا الخير ويعطيه من استحقه حسب سنته كما قال [وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم] وكان الله تعالى ينزع ولاية الكعبة عن الخائنين فبهذه السورة بشر الله تعالى نبيه بانه اصطفاه وامته لولاية بيته المحرم ومسكن خليله وذريته التي يبارك بها الامم، كما جاء في التوراة ولذلك سمى الله تعالى هذا البيت [مبركا وهدى للناس] ولا شك ان هذا العطاء هو الفوز الاكبر والخير الكوثر وهو الضمان للحوض الكوثر الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة، فموضع هذه السورة بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة والعطاء بعد السلب والمستخلفين بعد المهلكين، وذلك اسلوب عام في القرآن، ذلك ولما كانت السورة التالية في اعلان الهجرة من حواريه حسن في نظم الكلام تقديم سورة التبشير

والتسلية ليدل القرآن بنظمه على ان الله تعالى قضى باليسر قبل العسرة وان كان وتوعه بعدها، فترى ان اعلان الهجرة الذى تضمنته سورة الكٰفرون وضع بين سورتى التبشير اعنى سورة الكوثر وسورة النصر ثم لما كانت هذه السورة بشارة للنبى بكثرة احبائه وبقطع اعدائه عن بركات الكعبة جاءت سورة الكفرون بيانا لاصل هذه المقاطعة وهو التوحيد الذى بنى عليه هذا بيت الله الواحد. فهذا اجمال القول فى عمود السورة وربطها، واما الاطمينان بما ذكرنا فيرجى من تفصيل يتبعه۔

(تفسير كلمة كوثر وتاويلها)

٢- اعلم ان تاويل هذه السورة مخبوء تحت كلمة كوثر، فالاولى ان نبحث اولا عن معناها وقد اختلف فيه اقوال السلف رحمهم الله فلابد من بسط الكلام حتى تبين القول الراجح والتاويل الواضح والله تعالے هو الموافق للسداد.

لايخفى ان الكوثر مبالغة الكثير فهو ذو كثرة عظيمة وبركة وثروة فان الكثر هو الثروة وقد سموا به الرجال كما سموهم بكثير وكثير، وترى استعماله على طريق الصفة فى قول لبيد ؎

وصاحب ملحوب فجعنا بموته — وعند الرداع بيت آخر كوثر

وفى قول امية بن ابى عائذ الهذلى ؎

يحامى الحقيق اذا ما احتدمن — وحمحم فى كوثر كالجلال

فاستعمل الصفة بتقدير الموصوف اى فى غبار كوثر، وقد جعلوا منه فعلا كما قال حسان بن نشبة ؎

ابوا ان يبيحوا جارهم لعدوهم — وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

فالكوثر ههنا من جهة اللسان محتمل لثلثة وجوه من التاويل الاول انه منقول الى الاسمية فصار مختصا بشئ سماه الله تعالى بالكوثر. والثانى انه

صفة قد رموصوفها فصار لبعض التخصيص كقولهم «مرد على جرد» اى رجال مرد على خيل جرد وكقوله تعالى [والذريات] اى الرياح الذاريات و [ذات الواح ودسر] اى فلک ذات الواح و دسر وهذا كثير فى القرآن وكلام العرب ولكنه لا يوجد الا اذا كانت الصفة خاصة بالموصوف فيفهم من ذكر مجرد الصفة او دلت على الموصوف قرينة آخرى. **والثالث** انه وصف باق على عموم معناه كاسماء الصنف التى تقع على القليل والكثير ولا تخص وحينئذ يكون من جوامع الكلم و يحتمل كلما كان فيه خير كثير ويحمل حسب القرائن على بعض الافراد **واعلم** ان اصل ما نتمسک به فى تاويل الكوثر هو نظم السورة وموقع آياتها و رباط معانيها وحسن تاويلها كما يتبين لک من النظر فى الفصول التى بعد الفصل السابع و اما ذكر الوجوه الأخر وتطبيق الروايات فلرفع الشكوک عمن قل اعتناءه بمحاسن النظم ومعانى التاويل. وبعد ذكر هذا التمهيد نذكر اقوال السلف فى تاويل الكوثر.

(اقوال السلف فى تاويل الكوثر)

۳- ذكر ابن جرير رحمه الله فى تاويل الكوثر ثلاثة اقوال **الاول** انه نهر فى الجنة وروى ذلک عن عائشة رض وابن عباس رض وابن عمر رض وانس رض وعن مجاهد وابى العالية رحمهم الله **والثانى** انه الخير الكثير وروى ذلک عن ابن عباس رض وعن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة ومجاهد رحمهم الله **والثالث** انه حوض فى الجنة وروى ذلک عن عطاء رحمه الله ولا ارى فرقا بين القول الاول والثالث. وسمى بالحوض فى الموقف وبالنهر فى الجنة. فان ذلک الحوض من ذلک النهر الجارى **ثم** روى عن عكرمة الذى قال انه الخير الكثير ايضا انه النبوة و فى رواية انه القرآن وانه الحكمة وانه الاسلام۔ واختار ابن جرير رح

بعد ذکر ہذہ الروایات انہ اسم نہر فی الجنۃ معتمدا علی روایات عن انس عن النبی صلے اللہ علیہ وسلم ولم یتجشم للتطبیق بین ہذہ الاقوال مع ان القائل بالقول الثانی ہو القائل بالقول الاول وکذلک منہم من قال بالقول الثانی. ثم قال تارۃ انہ القرآن والحکمۃ وتارۃ انہ الاسلام والنبوۃ. ثم یعلم من الروایات انہم کانوا یعلمون ان الکوثر نہر فے الجنۃ وقد اخبرہ النبی صلی اللہ علیہ وسلم وعرفہ لہم فکیف یختلفون بعد العلم لاسیما ہذا حبر الامۃ وترجمان القرآن وتلمیذہ عکرمۃ فلابد من التامل فی کلامہم لیتخلص لنا لباب الحق خالیا عن التعسف۔

(مآخذ اقوالہم وان مرجعہا الی امر جامع)

۴- اعلم ان من اراد من الکوثر ہہنا نہرا فی الجنۃ او حوضا فی الموقف فقد جعلہ اسما منقولا عن الوصفیۃ واعتمد فیہ علی ما اخبر النبی صلی اللہ علیہ وسلم عن الکوثر الذی یعطیہ اللہ فی الآخرۃ. ومن اراد انہ الخیر الکثیر اما بتقدیر الموصوف وہو الخیر فان الموقع موقع ذکر النعمۃ واما بجعل الصفۃ نفسہا خیرا کثیرا ومآلہما واحد- فالظاہر انہ تمسک بوجوہ **الاول** انہ لو کان منقولا الی الاسمیۃ لجاءت نکرۃ مثل سلسبیل وتسنیم وعلیین وسجین وغسلین ولعرفہ القرآن لکونہ عربیا مبینا والتسمیۃ وضع جدید فاستعمال الکوثر بلام التعریف مع انہ اسم شی لم یعرفوہ یخرج القرآن عن العربی المبین فلا یحمل التسمیۃ علی طریق النص ولکن یراد منہ شی فیہ الخیر الکثیر علی سبیل التاویل **والثانی** انہ من عادۃ القرآن ذکر عطایا الآخرۃ بصیغۃ المستقبل او بما یدل علیہ مثل قولہ تعالی [ولسوف یعطیک ربک فترضی] و [یبعثک ربک مقاما محمودا] **والثالث** ان ابقاء اللفظ علی عمومہ یجعلہ اوسع واجمع والقرآن انزل جم المعانی ثم الکوثر نفسہ یقتضی الوسعۃ

فالاقتصار لا يوافقه . ثم اعلم ان من اراد انه الخير الكثير لم ينكر الخير الذي جاء في
كوثر الآخرة . انما جعلوه عاما وسيعا ثم بعد ذلك حملوه على نهر الجنة من عطايا الآخرة و
من العطايا الموجودة الآن على القرآن والحكمة والنبوة والاسلام على سبيل
التفصيل لا على جهة التسمية والتعيين - فذكروا الكل الافراد مع ابقاء اللفظ على عمومه.
ومن عادتهم التفسير بالقرآن . فحملوا الكوثر على القرآن لما وصفه الله بالمبارك و
على الحكمة لقوله تعالى [ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا] ولا فرق بينهما فان القرآن
جامع للحكم . وعلى النبوة لقوله تعالى [وما ارسلناك الا رحمة للعلمين] وهكذا الاسلام
بل الاسلام يشمل الخلق كله لقوله تعالى [وله اسلم من في السموات والارض]
فهذه الاقوال كلها ماخوذة ومستنبطة من القرآن ومآلها الى امر واحد وان
اختلفت الالفاظ . واما ما ذكر الامام الرازي رحمه الله من كثرة الاولاد والعلماء
والاتباع والفضائل ورفعة الذكر والخلق الحسن والمقام المحمود وهذه السورة
وجميع نعم الله وهذا الآخر نقله عن ابن عباس رض فبعضها يرجع الى ما قدمنا وبعضها
لا يناسب لفظ الكوثر ومع ذلك كلها داخل تحت عموم اللفظ ولكن تفسير السلف
اقوم واوضح استنباطا والمقصود مما ذكرنا ان ههنا مذهبين فحسب لا مذاهب
كثيرة كما يظهر لبادي الرأي وهو ان الكوثر اما هو شيء خاص بعينه من حوض او نهر
او حكمة او قرآن وامثال ذلك - او هو عام يشمل كل ما كان ذا خير كثير ومعتمد القائل
بالتعيين ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه بهذا الاسم ومعتمد القائل بانه يشمل النهر
وغيره تطبيق خبر النبي بالقرآن فاولوا القرآن حسب مقتضى عبارته ثم اولوا ما جاءهم
عن النبي بما لا يخالفه فهذا جمع بين التأويلين اذ لا تباين بين العام والخاص
وكذلك جمع سعيد بن جبير بين قولي ابن عباس رض كما روى ابن جرير" قال
حدثنا ابو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

قال الکوثر نہر فی الجنۃ حافتاہ من ذہب ونضۃ یجری علی الیاقوت والدُّر ماؤہ ابیض من الثلج واحلی من العسل،، وروی ایضا وہکذا فی صحیح البخاری ،،قال حدثنی یعقوب قال ثنی ہشیم قال اخبرنا ابوبشر وعطاء ابن السائب عن سعید بن جبیر عن ابن عباس انہ قال الکوثر ہو الخیر الکثیر الذی اعطاہ اللہ ایاہ قال ابوبشر فقلت لسعید بن جبیر فان ناسا یزعمون انہ نہر فے الجنۃ قال فقال سعید النھر الذی فی الجنۃ من الخیر الذی اعطاہ اللہ ایاہ،، فہذا توفیق بین القولین توفیق الخاص بالعام ثم ان امکن التوفیق التام بین القرآن والحدیث بان یقال ان الکوثر الذی اعطاہ اللہ رسولہ فی الدنیا ہی التی فی الحقیقۃ حوض فے الموقف ونہر فی الجنۃ کان ذلک احسن توفیقا وقد وجدناہ ایضا احسن تاویلا ونذکرہ فی الفصول الآتیۃ بعونہ تعالی۔

(اللوامع الدالۃ علی ان الکوثر ہو الکعبۃ وما حولہا۔)

٥۔ قد ظہر مما سبق ان السلف رحمہم اللہ لم یختلفوا فی کوثر الآخرۃ ولکن حملوا اللفظ علی العموم وراعوا صیغۃ الماضی فذکروا ما یدخل فی مدلول ہذا الاسم لیکون اللفظ عاما وسیعا کوثرانی ولالتہ ولذلک ساغ للتاخرین من المفسرین التماس امور اخر غیر ما روی عن السلف فلو کان القول فیہ بدعۃ وضلالۃ لسکتوا ولسکت السلف ولم یختلفوا فان التمست قولا تجعل الکوثرین واحدا لم ارنی مخالفا للسلف کانی لا اراہم مخالفین بعضہم لبعض بید انہم جعلوا الکوثر عاما فحملوہ علی حوض او نہر فی الجنۃ وعلی غیرہ مما فیہ الخیر العظیم من القرآن والحکمۃ والاسلام والنبوۃ من غیر رعایۃ مناسبتہ بالحوض او النہر واما انا فاحملہ علی ما ہو اشبہ شئ بحوض او نہر وصفۃ النبی وکشف لہ فی لیلۃ المعراج فان اللہ تعالی اراہ

فيه حقايق امور اخروية روحانيتها من الامور التي في الدنيا فكذلك اراد روحانية الكوثر الذي اعطاه في الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يصرح بما يكشف له كما قال في امر سورتي البقرة وآل عمران انهما تاتيان كغمامتين. وان الدنيا تاتي كعجوز شمطاء. وان الموت ياتي في صورة كبش وربما يكتفي بالاشارة لكي يتفكروا ويستنبطوا فيكون تعليما وتربية لعقولهم. فان لم يبلغنا التصريح منه عليه الصلوة بان الكعبة تكون يوم القيامة حوضا كوثرا فقد دلنا باشارات وقد رغبنا في التفكر والتوسم والان نذكر ما كشف لنا من اللوامع الدالة على ما ذكرنا. الاولى ان النفوس لها شوق تام الى الرب ولا تطمئن بعد باعه وهذه الفطرة منشأ الديانات في الناس حتى لا تخلو عنها امة ومما يعبر عن هذا الشوق الروحاني غير العطش وكثر في الزبور هذا التمثيل فان صح ذلك فالموحدون عند الحج لا اشبه شي بالعطاش المجتمعين عند حوض بعد مقاساة الظمأ الشديد فالكعبة لهم في الدنيا هي كالحوض الكوثر الذي يردونه في الحشر. والثانية ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه مساجدنا بالنهر كما روى البخاري في صحيحه قال عليه السلام "ارأيتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا" الحديث. فهذا تمثيل من جهة اخرى للماء فان الماء كما انه رواء فكذلك هو طهور. ولا شك ان مورد صلواتنا هذا البيت الذي بمكة فكان له جداول في كل مكان يصلون فيه والثالثة انه كما تستعلن كثرة هذه الامة على الامم عند الكعبة فكذلك تكون عند الحوض ولا شئ ادل على كثرة هذه الامة من اجتماعهم في موضع واحد وان هذا الاجتماع لادل على كثرتهم لعلم الناس بان هذه الجماعة انما هي قطرة من بحر الامة المتدعلى بسيط الارض فكما تتضح زيادة هذه الامة على امم النبيين الاخرين في القيامة عند اجتماعهم على الحوض كذلك ترى كثرتهم حول الكعبة في الموسم. فاسم الكوثر اظهر مطابقة بها. والرابعة ان النبي صلى الله عليه وسلم

اخبر انہ یعرف امتہ علی الحوض بآثار الوضوء ففیہ اشارۃ الیٰ ان الذین یردون ہذا البیت بقلوبہم ہم الذین یردون فی الآخرۃ ذلک الحوض الذی ہو حقیقۃ ہذا البیت ۔ **والخامسۃ** ان اللہ تعالیٰ قد جعل استخلاص الکعبۃ ینبوعا للکثرۃ فدخلوا فی دین اللہ افواجا بعد الحج الاکبر. **والسادسۃ** ان اللہ تعالیٰ سمی مسجد مکۃ مبارکا حیث قال [ان اول بیت وضع للناس للذی ببکۃ مبٰرکا وہدی للعلمین] و جعل اللہ لہذا البیت من البرکۃ ما عم فیضہ جمیع العرب بل جمیع العالم کما وعد ابراہیم علیہ السلام فظہرت برکۃ فی اسمٰعیلؑ اکثر من برکۃ اسحق کما مر فی تفسیر سورۃ **الفیل** ولا یخفی ان کل ہذہ البرکات من ہذا البیت ومن الصلوۃ والنحر واما تسمیۃ القرآن بالمبارک فمن جہۃ کونہ کالمطر النازل من السماء فسماہ مبارکا کما سمی المطر مبارکا فکما ان المطر یحیی الارض فکذلک القرآن یحیی القلوب **فتسمیۃ** القرآن بالمبارک لا تجد فیہا ما تشبہ بالحوض والبلاغۃ تنکر ہذا التشبیہ لعلو مکانۃ القرآن وسعتہ التی لا نہایۃ لہا ۔ **والسابعۃ** ان ہذہ السورۃ نزلت یوم صلح الحدیبیۃ الذی فتح باب الوصول الی بیت اللہ والحج والصلوۃ والنحر وظہور الاسلام وکثرتہ حتی سماہ اللہ فتحا مبینا. ونتکلم علی زمان نزولہا فی الفصل الرابع عشر ببعض البسط انشاء اللہ تعالیٰ. **والثامنۃ** ان النبی صلے اللہ علیہ وسلم اخبر عن موضع طرف من ذلک الحوض فاشار الی الباقی کما روی البخاری فی صحیحہ " قال علیہ السلام ما بین بیتی ومنبری روضۃ من ریاض الجنۃ ومنبری علی حوضی "، فیستنبط من ذلک ان ہذہ الارض المبارکۃ التی یتردد فیہا الحجاج ہی التی تصیر حوضہ الکوثر الذی اخبر عنہ ومنبعہ الکعبۃ والی ہذا اری اشارۃ فی قولہ علیہ الصلوۃ والسلام کما روی البخاری فی صحیحہ وہی **التاسعۃ** ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم خرج یوما فصلی علی احد صلوتہ علی المیت ثم انصرف

الی المنبر (ای منبرہ فی المسجد فقام خطیبا) فقال انی فرط لکم و انا شہید علیکم و انی
واللہ لانظر الی حوضی الآن و انی اعطیت مفاتیح خزائن الارض او مفاتیح الارض
وانی واللہ ما اخاف علیکم ان تشرکوا بعدی ولکن اخاف علیکم ان تنافسوا فیہا
الفرط من یتقدم القوم الی الماء لیہیئ لہم الارسان والدلاء و یملأ لہم الحوض. و شہید
علیکم ای یعرفہم و یشہد علی کونہم من امتہ فیکون ذلک شفاعۃ لہم. ہذا بیان ما یقع فی
الآخرۃ ثم اشار الی ان ظاہر ذلک الحوض بین یدیہ فان منبرہ علی حوضہ
کامر آنفا و ما ذکر من اعطاء مفاتیح الارض فذلک ما انجزہ اللہ تعالیٰ فان فتح مکۃ
کان مفتاحا لفتح الارض وخزائنہا والعاشرۃ انہ علیہ الصلوات اخبر ان طول
حوضہ ما بین مکۃ والمدینۃ فاشار اشارۃ لطیفۃ الی المطابقۃ التی بین ارض الحرم وحوضہ
فان قیل فہلا ذکر ما اراد بالتصریح قلنا انما اختار ہذا الاسم لکثرۃ دلالتہ ولیتفکروا
فدل علی کثرۃ الامۃ وفتح مکۃ وکثرۃ اجتماعہم فی الحج وفی الموقف علی حوضہ. وانما
ذکرنا ہذہ الامارات تمہیدا وتائیدا لما دل علیہ نظم الآیات کما سیتفتح لک
انشاء اللہ تعالیٰ ہذا. ثم التدبر فی ہیأۃ الحوض الکوثر یدلنا علی ما ذکرنا من کون
الکوثر الاخروی صورۃ روحانیۃ للکعبۃ وما حولہا. ونذکر ذلک فی الفصل الآتی۔

(النہر الکوثر صورۃ لروحانیۃ الکعبۃ وما حولہا من تردد الحجاج)

۶- من تامل فی صفۃ النہر الکوثر الذی کشف للنبی صلی اللہ علیہ وسلم حین
عرج بہ یجدہ مثالا روحانیا للکعبۃ وما حولہا وذلک لما روی من طرق کثیرۃ من
ان الکوثر نہر علی حافتہ قباب الدر المجوف وارضہ یاقوت ومرجان وزبرجد
وفیہ آنیۃ مثل نجوم السماء، وماؤہ ابیض من اللبن واحلی من العسل
وابرد من الثلج، وتربتہ اطیب من المسک، تردہ طیور اعناقہا کاعناق الجزر.

قال رجل اہانا ساعۃ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم آکلہا انعم منہا و خریر
ماءہ مثلما یسمع احدکم اذا ادخل اصبعہ فی اذنیہ ۔ وحصل لنا ہذا الوصف بجمع الروایات
ولفظ البخاری "قال بینا انا اسیر فی الجنۃ اذا انا بنہر حافتاہ قباب الدر المجوف
فقلت ما ہذا یا جبریل قال ہذا الکوثر الذی اعطاک ربک قال فضرب الملک بیدہ
فاذا طینہ مسک اذفر" فقف ہہنا و تامل الکعبۃ وما حولہا حین ترد علیہا الموحدون من
اقطار الارض یطفئون غلیل شوقہم الی ربہم البیت حصباء بطحائہا عند حسہم الروحانی
اکرم وابہی من الیاقوت والزبرجد وترابہا اطیب من المسک وقباب الحجاج
حولہا احسن من الدر ۔ ثم تامل مع ورود الحجاج ورود البدن کالطیور علی الماء
وذلک اسعد حال لہن فانہن یقربن الی اللہ نیابۃ عن الانسان فکانہن من
الانسان فاعظم فوزہن ۔ ثم تامل آکلیہن ضیوف اللہ الناعمین المتبہجین وتامل
کیف اشار بتشبیہ الطیور الواردات بالبدن وذکر آکلیہا الی ان البدن
ہی الطیور وکیف جعل الاشارۃ لطیفۃ فشبہ اعناق الطیور باعناق البدن
لیدل الجزء علی الکل وکیف جانب لفظ البدن وذکر الجزء وکل ذلک لیحث
العقول السلیمۃ علی الاستنباط کما یذکر اللہ الدلائل فی القرآن ویتبعہا بمثل قولہ
[ان فی ذلک لآیات لقوم یعقلون] "ویعلمون" "ویتفکرون"، والنبی احسن
المعلمین فکان یربی العقول ویعلمہم الحکمۃ ۔ وکان ربما یسأل اصحابہ عن مناسبات
الامور کما سأل عن مثل المومن فی الاشجار ۔ وکذلک کان عیسیٰ یضرب لہم
الامثال فسألوہ لم لا یصرح القول فاجابہم یفہمہا الا العقلاء ۔ وہکذا فی القرآن
[وتلک الامثال نضربہا للناس وما یعقلہا الا العالمون] وجملۃ الکلام ان للاشارات
محلا وحکمۃ فی التعلیم والتربیۃ ۔ ذلک ۔

(نظیر ذلک ما جاء من روحانیه ارشلیم)

۷۔ ویشبہ ذلک ما جاء فی مکاشفات یوحنا ص۲۱ "و ذہب بی الروح الے جبل عظیم عال و ارانی المدینة العظیمة اورشلیم المقدستہ نازلة من السماء من عند اللہ لہا مجد اللہ (ای علیہا نور من اللہ) و لمعانہا شبہ اکرم حجر کحجر لیشب بلوری (ثم ذکر سورہا ومسافتہا و ابوابہا و سکانہا من اسباط اسرائیل ثم قال) کان بناؤ سورہا من لیشب والمدینة ذہب نقی شبہ زجاج نقی و اساسات سور المدینة مزینة بکل حجر کریم. الاساس الاول لیشب الثانی یاقوت ازرق. الثالث عقیق ابیض. الرابع زمرد زبابی. الخامس جزع عقیقی. السادس عقیق احمر. السابع زبرجد. الثامن زمرد سلفی. التاسع یاقوت اصفر. العاشر عقیق اخضر. الحادی عشر اسمانجونی. الثانی عشر جمشت. والاثناعشر بابا اثناعشر لؤلؤة کل واحد من الابواب کان من لؤلؤة واحدة. وسوق المدینة ذہب نقی کزجاج شفاف"، ثم ذکر انہ لیس فیہا ہیکل دلیعبد ون اللہ وحدہ ولا آمن بعض التحریف والزیادة فیما نقلوا وانما المقصود ان المثال الروحانی لما فی الدنیا من الاعیان والاعراض امر معروف معلوم. وہذا الوصف الذی ذکرہ یوحنا یکتشف ماتحسہ الباصرة فقط وماجاء فی وصف روحانیة الکعبة فقد جمع اوصافا لکل حاستہ حتی السمع بما ذکر من خریرہا وہا و خریر الماء من البعید لاشہی واحلی للعطشان. ثم الماء الحلو البارد اقرب تادیة لما یطفی شوق الموحدین المخلصین العطاش الجیاع لہ. وعنہم اخبر المسیح علیہ السلام بقولہ "طوبی للجیاع والعطاش لانہم یشبعون"،

(تاویل قوله تعالیٰ انا اعطینک الکوثر)

٨ - بعد ما فهمنا دلالة كلمة الكوثر اتضح لنا معنى الآية الاولى وهو انها اخبار عما اعطاه الله تعالى من البركة وكثرة الامة واخبر به حين دنا انجازه فى الدنيا لكي يبشر النبىؐ ثم المسلمين بظهور الاسلام وانتشاره فى البلاد وبفتح مكة اى اعطاك الله امة عظيمة من المصلين المنفقين يحجون بيت الله الحرام كما قال تعالى [واذ بوئنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ؛ (اى المصلين) واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ؛ (اى يأتوا لزيارة البيت من القرب رجالا ومن البعد تضمرله الركاب ومن اقطار الارض فيدخلوا مكة من كل فج ولكثرة السالكين تصير الفجاج عميقة) ليشهدوا منافع لهم (اى تصير هذه البلدة مثابة لهم فينتفعون بالتجارة ويخالط بعضهم بعضا آمنين فيصلح بالهم ويصلوا ارحامهم وكانت سنة الخطيب فى العرفات ان يحثهم على الصلح وصلة الرحم ولذلك سموا مكة صلاح وام الرحم فما اكبر نفع ذلك فى معاشهم) ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (وهذه منفعة دينية فمع شركهم لم يتركوا ربهم وانما اتخذوا اليه شفعاء) فكلوا منها واطعموا البائس الفقير] فتبين ان هذا البيت جعل مركز التوحيد والصلوة واطعام الفقراء لامة كثيرة يحجونه من جميع البلاد وقد كان ابراهيم عليه السلام دعا الله ان يبعث نبيا لهذه الامة الكثيرة وقد استجاب الله دعوته ، قد وعده الله تعالى كثرة فى ذريته لاسيما فى ذريته من اسمعيل كما جاء فى التوراة واعترف بذلك اهل الكتاب وقد ذكر الله تعالى هذا العطاء فى اوائل بعثة نبيناؐ حيث خبره فى سورة الضحى بقوله [ولسوف يعطيك ربك فترضى] فهذا الوعد الذى ذكرا قتراب حصله مقتضيا بقوله [انا اعطينك]

وفسر معنی [فترضی] بکلمة الکوثر فان النبی صلی الله علیه وسلم لغایة رأفته وحرصه علی الهدایة لایرضی بالقلیل اذ بان یعطیه الکثیر فی الدنیا فیدخلون فی دین الله افواجا ثم یسلبه ایاهم فی الآخرة حتی یقبلوا علی حوضه فازاح کل شبهة بکلمة ترضی والکوثر وقد کثرت الاحادیث الصحاح بکثرة امته. فهذه الآیة الاولی لبشارة عظیمة من وجوه. من قرب الفتح، وقرب دخول الناس الکثیرین فی امته، وبقاء جماعة کثیرة منهم علی الدین الحق علی رغم من یزعم بردة اکثر هذه الامة. ذلک وتاتیک بشارات جمة عن قریب انشاء الله تعالے فان السورة کلها بشارات ولله الحمد فی الآخرة والاولی۔

(تاویل قوله تعالی "فصل لربک وانحر" وبیان ربطه بما قبله)

۹- هذه الآیة تدل علی اربعة امور الاول ان الصلوة والنحر لهما ربط بهذا العطاء لما صدر الامر بالفاء والثانی ان فی الآیة امرا وایجابا بهما عموما علی سبیل الانفراد وخصوصا بجمعهما وذلک فی الحج. والثالث ان بین الصلوة والنحر ربطا خاصا والرابع اختصاصنا بهذه العطیة والامر بالصلوة والنحر معا ویهدی ذلک الی انا علی سنة ابراهیم دون المشرکین ومبتدعی الیهود والنصاری لان المشرکین لم تکن صلوتهم ونحرهم للرب خالصا. ومبتدعة الیهود لم یکن لهم غیر القرابین وان قرابینهم لاتسمی نحرا فان النحر مخصوص بالابل وهو حرام علیهم. ومبتدعة النصاری لیس لهم قربان اصلا والصلوة غیر واجبة علیهم بزعمهم. فهذه جملة الکلام ولا بد لها من بعض التفصیل ونأتی به فی عدة فصول اما الامر الاول والثانی فتجدهما فی هذا الفصل وسیاتیک الباقیان فیما بعد. فاعلم ان الله تعالی بعد ما بشر النبی صلی الله علیه وسلم والمسلمین بهذه العطیة عقب البشارة امرین الصلوة والنحر. والتعقیب یدل علی نسبة

وربط بين السابق واللتالي اى العطية والامر فلما تدبرنا فيما دل عليه نظم الكلام ظهرلنا بعض وجوه الربط بتوفيق الله تعالى فنذكرها والحمد لله تعالى. الاول ان هذا الامر يتضمن بيان مقصد هذا العطاء. فان هذا العطاء كان لمقصد عظيم كما قال تعالى [الذين ان مكنهم فى الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر] وكما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام [ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم] اى ياتون اليهم يحجون بيتك. فعلمنا ان هجرة ابراهيم وسكناه فى واد قفر وارض عاقر لم تكن الا لاقامة مركز لعبادة الله الواحد يتوجهون نحوه وياتون اليه من البعد يطوفون ويسعون ويقدمون اليه الهدايا كالعبيد يسعون على باب مولاهم الذى دعاهم فاسرعوا اليه قائلين "لبيك لبيك لاشريك لك لبيك"، ثم يسمعون بما امر الرب ونهى عنه على لسان امامهم. ولذلك قال تعالى [واذن فى الناس بالحج ياتوك] اى ياتوا اليك لاستماع الحكمة. فان الله تعالى جعله اماما للناس كما جعل ذلك البلد مثابة وبركة وهدى لهم فكان يقربهم ويقوم فيهم خطيبا وهكذا قرى النبى عشيرته حين قام ببعثته ودعاهم الى الرب. وقد استمرت سنة الخطبة بعد ابراهيم مع سائر سنن الحج كما مر فى تفسير سورة البلد. ثم يطعمون الناس بما ساقوا من الهدايا ويأكلون منها شاكرين بان تقبل الرب هدايا عبيده ثم اعطاهم ما قربوا اليه. فقد تبين ان هذا البيت انما وضع لمقاصد عظيمة بها اعطاهم التمكين فى الارض وان معظمها الصلوٰة والنحر فذكرهما بعد ذكر اعطائه ليعلموا ان هذا العطاء له حق وغاية. ليقيموا بحقه ويتموا ما لاجله اعطوه. وذلك مبنى على وجوب ايفاء الحقوق. فان لكل عطاء حقا لابد ان يوفى فيه كما قال تعالى [ليبلوكم فيما آتاكم] وايضا [احسن كما احسن الله اليك] وايضا [وآتوا حقه يوم حصاده] الثانى انه تعالى عقب ذكر العطية ذكر ما به بقاؤها فامر بالصلوة

والنحر امرا عاما فان هذه العطية كانت للنبي ولامته عامة فان النبي وكيل امته فما اعطاه اعطى امته ولذلك قال عليه السلام انا فرطكم على الحوض كما مر فكذلك الامر بالصلوٰة والنحر عام وهو ظاهر. فلما ربط عبادة بعطية علمنا ان الامتثال به يضمن بقاء نعمة وقال تعالى [ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم] وهذا الذي امرنا به هو الحج ومناسكه كما هو ظاهر فكانه تعالى قال انا اعطيناك الكوثر فادمه فيبقى لك هذا العطاء. وسواء اخذت الصلوٰة والنحر بمجموعهما او بانفرادهما كان المراد هو الحج. فان الحج من الصلوٰة لما جاء في الحديث ولما دل عليه اعمال الحج وقد علمنا ان مقصد البيت الصلوٰة ولذلك بني كما مر فمن لم يحج وقد امكنه لم يتم مقصده. وكذلك النحر فان من ضحى في غير الحج ترك اعظم الاضاحي والذي يضحي في غير الحج فانما هو متشبه بالحجاج وهو يريد وينتظر ان يجد سبيلا فيحقق ما يريد. فباي وجه اخذت دلت الآية على ان الحج يلزم الامة فمن استغنى عنه اخرج نفسه عنهم. وهذا يتضح من النظر في حقيقة الحج وقد صرح بذلك القرآن والسنة قال تعالى [ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العلمين] فذلك تصريح بكفر من استغنى عن الحج وان الله تعالى لا يبالي به. **والثالث** انه يتضمن تسلية النبي والمسلمين كانه قيل له انهم اخرجوك ومنعوك عن الصلوٰة والنحر فالآن بعد ما اعطيناك الكوثر لا مانع لك فافعلهما بفراغ بالك وبقدر شوقك باكثار النحر وبجماعة عظيمة حتى يتحقق معنى الكوثر. وقد علمنا شوق النبي والمسلمين الى الحج والصلوٰة والنسك والامر بعمل مرغوب مع كونه امرا يتضمن التبشير والتسلية واظهار الرأفة. **والرابع** انه بيان عهدنا بالله تعالى جعل الامر بالصلوٰة والنحر مرتبا على عطية فاذا قبلنا العطية اوجبنا على انفسنا ما امرنا به ومتى ما بقينا على طاعة امره بقي لنا ما اعطانا. فصار اخذ العطية عهدا بالله كما اعطى الله آدم وحواء عليهما السلام المسكن في الجنة ليأكلا

منهما غدا ولا يقربا شجرة خاصة عرفها لهما فلما اخذا العطية وجب عليهما عهد الله به
لذلك قال تعالى [ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما] وكذلك
بقي لهما ما اعطاهما الله ما بقيا على عهده. وكذلك نرى في قصة ابراهيمؑ كما قال تعالى
[واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمت فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن
ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين] فبعد ما امتثل ابراهيمؑ باوامره به تعالى جعل له
ربه عهداً وهذا العهد يبقي لذريته ما داموا قائمين به واما الظالمون فيحرمونه. والخامس
انه بيان عهد التوحيد وقد صرح القرآن بذلك العهد وصرح بادلته كثيرا. وجماعها
كونه ربا منعما وقد اخذنا عطاياه من الخلق وحسن التقويم والرزق الطيب وهذا عام
وههنا ذكر نعمة عظيمة خاصة فذكرها وحيث هذه النعمة علينا من التوحيد في صورة خاصة
تناسب العطية الخاصة فان الله تعالى هو الذي اعطانا هذا البيت فلا بد ان تكون
الصلوة والنحر له. وفي ذلك ايضاً تعريض على الخائنين الظالمين. وهذا يظهر
من النظر في كلمة [انّا] و [لربك] اي انا الذي اعطيناك فلابد لك
ان تصلي وتنحر مخلصا لي خلاف ما فعل المشركون وصرح بهذا المفهوم في
سورة الحج مرارا فلا حاجة الى ايراده ههنا. وكذا فسر الآية محمد بن كعب
القرظي حيث قال " ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فاذا اعطيناك
الكوثر يا محمد فلا تكن صلوتك ونحرك الا لي "

(وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر)

١- اعلم ان للصلوة والنحر وجوها كثيرة دل القرآن عليها كلها ولا حاجة الى استقصاء الوجوه
ههنا وتجدها في كتاب المفردات وانما نذكر الآن منها ما يدل على المناسبة
بينهما. وهذه الوجوه وان لم يصرح بها القرآن فانها لا تخفى على من تدبر في آية ونظم

كلماته انه بعد ذلك لا يستطيع دفعها عن قلبه وكيف يصرف نفسه عن التامل فى آياته
من اليقن بحسن نظامه وقرع سمعه قوله تعالى [افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها]
والمقصود ان مجرد ربط الصلوة بالنحر يحثنا الى التدبر فى وجوه المناسبة بينهما وذلك
يطلعنا على حقائق عظيمة ونحن ذاكرون هذه الوجوه لا لمجرد بيان حسن النظم بل ايضا للكشف
عن تلك الحقائق العظيمة حتى يتضح بعد النظر فيها ان السور القصار بنيت على معظمات
الامور فلئن صغرن من جهة اللفظ فانها لكبار من جهة المعنى. والآن نشرع بعون الله تعالى
فى ذكر وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر.

فالوجه الاول ان المناسبة بينهما تشبه المناسبة التى بين الايمان والاسلام
وبيان ذلك يقتضى تمهيدا فاعلم ان الدين مبنى على صحة العلم والعمل فالعلم ان نعرف
ربنا ونسبتنا اليه ولا نذهل عن هذا العلم ويلزمه حالة قلبية من المحبة والشكر وتفيض الى
الاعمال فالعمل متصل بالعلم اتصال الاثر بالموثر والظاهر بالباطن فالعلم من باب الايمان
والعمل من باب الاسلام. ثم اعلم ان العمل كما يقابل العلم فكذلك يقابل القول
فالقول وسط بينهما وهو اول ظهور الارادة وتحقيق العمل. وبعد هذا التمهيد انظر الى ربط
الصلوة والنحر اما **الصلوة** فلا يخفى انها قول واقرار وجميع اوضاعها من القيام
والقعود والركوع والسجود ورفع اليدين والاصبع اقوال بلسان الاوضاع فهى
اول خطوة بعد الايمان وبها يفتح باب الاعمال ولذلك قدمت على جميع الشرائع
كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى [الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة]
وبسطناه فى تفسير سورة الفاتحة. وقد بين الله ذلك فى قصة ابراهيم حيث ذكر
انه لما عرف ربه بالتوحيد قال [انى وجهت وجهى للذى فطر السموٰت والارض حنيفا
وما انا من المشركين] والصلوة تحقيق هذا التوجه الا ترى انك تفتتح صلوتك بهذا
القول. وكذلك ترى فى قصة موسىٰ كيف امره الله تعالى بعد ما اعطاه معرفة التوحيد

حیث جاء [فلما اتیها نودی یاموسی انی انا ربک فاخلع نعلیک انک بالواد المقدس طوی، وانا اخترتک فاستمع لما یوحی، اننی انا اللہ لا الہ الا انا فاعبدنی واقم الصلوۃ لذکری]
ومثل ذلک قال تعالی بعد ابطال الشرک [فاقم وجہک للدین حنیفا فطرت اللہ التی فطر الناس علیہا لا تبدیل لخلق اللہ ذلک الدین القیم ولکن اکثر الناس لایعلمون.
منیبین الیہ واتقوہ واقیموا الصلوۃ ولاتکونوا من المشرکین] فالصلوۃ فطرۃ المخلوقات کلہا ولذلک قال تعالی [تسبح لہ السموت السبع والارض ومن فیہن، وان من شیٔ الا یسبح بحمدہ] وقال تعالی [الم تر ان اللہ یسبح لہ من فی السموت والارض والطیر صٰفّٰت، کل قد علم صلوتہ وتسبیحہ] فالصلوۃ من جمیع الاعمال امس بالایمان واول فیض منہ وکلہا جامع التوحید والانابۃ والشکر والتوکل والتبتیل الی الرب وانہا فطرۃ لجمیع الخلق. و اما النحر فہو جامع معنی الاسلام فان الاسلام ہو الطاعۃ واذعان النفس لربہا وتسلیم کلیتہا لمولاہا وہو ایضا فطرۃ العباد کالصلوۃ فان المخلوق لم یخلق الا باذعانہ لامر ربہ. امرہ بکن فکان واستجاب لدعوتہ فے بدء خلقتہ فان عصی بعد ذلک ناقض فطرتہ فالاسلام من ہذہ الجہۃ احاط بجمیع الخلق کما قال تعالی [ولہ اسلم من فی السموت والارض طوعا وکرہا والیہ تحشرون]
ای استجبتم دعوتہ فی اول خلقکم وکذلک تستجیبونہا فی الآخرۃ فتحشرون الیہ کما قال تعالی [فاذا دعاکم دعوۃ من الارض اذا انتم تنشرون] وقال تعالی [وتستجیبون بحمدہ وتظنون ان لبثتم الا قلیلا] فالاسلام للرب والتسبیح والسجدۃ والصلوۃ لہ کلاہما فطرۃ وفی غایۃ الاتصال. واذ جعل اللہ تعالی ابراہیم اماما ومسجدہ قبلتنا وہدیہ سنتنا ولنا علی حقیقۃ النحر ایضا بقصتہ کما دلنا بہا علی حقیقۃ الصلوۃ فذکر تعالی [قال انی ذاہب الی ربی سیہدین (ای انی مہاجر الی ربی سیہدینی صراطہ)
رب ہب لی من الصٰلحین (ای ذریۃ صالحۃ لنسلک بہم فتبین للناس سنن الہدی)

فبشرنٰه بغلم حلیم (ای اسمٰعیل و انما سُمّی اسمٰعیل ای سمع اللّٰه لما انه کان جوابا لدعوته)
فلما بلغ معه السعی قال یٰبُنیّ انی اری فی المنام انی اذبحک (ای اذبحک للّٰه) فانظر
ماذا تری (انما سأله لکی یشرکه فی الطاعة فان مقصود ابراهیم کان ضرب طریق واقامة
سنة وقد علم من اجابته دعوته انه یکون عاقلا فأمن مخالفته) قال یٰابت افعل ما تؤمر
ستجدنی ان شاء اللّٰه من الصٰبرین. (ففهم اسمٰعیل من قول ابیه انه لم یکن لیذبحه
الا بامر واجاب جواب المتوکلین) فلما اسلما وتله للجبین. (ای لما حققا بذلک
کال اسلامهما اما الوالد فلانه اسلم ما کان احب الیه من نفسه واما الولد فلم یکن له
الا نفسه) وناديٰنه ان یٰابراهیم قد صدقت الرؤیا انا کذلک نجزی المحسنین. ان
هذا لهو البلاء المبین (فبلغا بذلک درجة الاحسان وهو کال الاسلام وصارا
بهذا البلاء المبین امامین تأتم الهداة بهما) وفدینٰه بذبح عظیم] ای فدینا الغلام
بذبح عظیم وهو اقامة سنة التضحیة ومغفرة المضحین بها فبیّن اللّٰه لنا بهذه القصة ان
الاسلام اصله الطاعة وتسلیم احب ما عنده للمولی حتی النفس. ولایکون
ذلک الابتمام الایمان والاخلاص. وکمالهما الاحسان. وهو "ان تعبداللّٰه
کانک تراه"، فتبین مما قدمنا ان ربط النحر بالصلوٰة کربط الاسلام بالایمان
او کربط القول بالعمل وان الاحسان یجمعهما.

والوجه الثانی ان النسبة بین الصلوٰة والنحر کالنسبة بین الحیوٰة والموت
وبیان ذلک ان الصلوٰة سرها ذکر الرب لقوله تعالیٰ [واقم الصلوٰة لذکری]
ایضا [وذکر اسم ربه فصلی] وهذا کثیر والمطلوب دوام الذکر لقوله تعالیٰ:
[یذکرون اللّٰه قیاما وقعودا وعلی جنوبهم] ایضا [یٰایها الذین آمنوا اذکروا اللّٰه
ذکرا کثیرا وسبحوه بکرة واصیلا. هو الذی یصلی علیکم وملٰئکته لیخرجکم من الظلمٰت
الی النور وکان بالمؤمنین رحیما] ای کلما انتم تذکرون اللّٰه وتسبحونه فکذلک هو

يصلي عليكم وملئكته وبذلك يزيد نوركم كما قال [فاذكروني اذكركم] ايضا [فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون] ولهذا السر ملأ ساعاتنا بالصلوة ولم يرخص عنها في حالة فظهر ان الصلوة كالتنفس لا بد منها فبذكر الرب تبقى الحيوة المعبر عنها بالنور والسكينة والايمان . وذلك ظاهر عقلا فان توجه الرب ونظر رافته الى العبد بعد ما اعطاهم العقل والتميز لا يكون الا بان يتوجهوا اليه فانه يزيد النعم بالشكر واستعمال ما اعطى كما قال [والذين اهتدوا زادهم هدى] والتوجه اليه يكون بذكر اسمه فيتقربون اليه بهذا السبيل فانه لا معنى للقرب والبعد منه تعالى الا ذكره والغفلة عنه اعاذنا الله منها فاذا ذكروا ربهم اقتربوا منه كما قال تعالى [واسجد واقترب] فحينئذ توجه اليهم نظر رحمته واشرق عليهم نور قدسه والروح انما يشرب ويصبغ بالذكر والفكر فبدوام انغماسه في ذكر ربه يتنزل عليه حيوة وقوة منه . وعن ذلك اخبرنا النبي عليه الصلوة كما روى البخاري " ما يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش " ، وما هذا الا بيان الحيوة الروحانية التي هي الحيوة الحقيقية العليا فعلمنا ان الصلوة هي عين الحيوة وسلم النجاة من هذه الحيوة السفلى . واما النحر فحقيقتها تسليم النفس لربها كما دلت عليه قصة ابراهيم واسمعيل وجعل التضحية تذكارا لتلك القصة والبلاء المبين الذي ابتلى به الرب خليله . والمومنون يحققون ذلك التسليم باهراق مهجهم في سبيل الله فكما ان الصلوة حيوتنا بالرب فكذلك النحر موتنا له وذلك هو الدين والاسلام كما قال تعالى [قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا . وما كان من المشركين . قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين] النسك في هذه الآية هو الذبح في الحج والعمرة باتفاق المفسرين وكذلك هو في لغة العرب فلما ضم الصلوة بالنسك واتبعها بالحيوة والموت دل بنظم الكلام

علی سرہما والنسبۃ بینہما علی اسلوب التواطؤ، فالصلوٰۃ ہی الحیاۃ للمسلم ونسکہ ہو مماتہ فی سبیل ربہ ثم ہما متحدان فان ہذا الموت ہو باب الحیوۃ ولذلک قال تعالیٰ [ولا تقولوا لمن یقتل فی سبیل اللہ اموات بل احیاء ولکن لا تشعرون]

والوجہ الثالث ان الصلوۃ والنحر جانبان للنحر الحقیقی وبیان ذلک ان اللہ تعالیٰ لما خلق الانسان ذا عقل وارادۃ حاکما بالحسن والقبح رفعہ اعلی درجۃ ومع ذلک اقامہ علی شفا حفرۃ کما قال تعالیٰ [لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم ثم رددنٰہ اسفل سافلین الا الذین آمنوا وعملوا الصلحٰت فلہم اجر غیر ممنون] وایضا [ونفس وما سوٰہا فالہمہا فجورہا وتقوٰہا قد افلح من زکّٰہا وقد خاب من دسّٰہا] وذلک لان العبد اذا قطع النظر عن منعمہ واستغنی عن ربہ حجب عن نورہ وراقہ الباطل المزخرف واتبع مراد نفسہ وصار الہوی الہہ. کما قال تعالیٰ [افمن اتخذ الہہ ہواہ واضلہ اللہ علی علم (ای بعد ان اعطاہ العقل والسمع والبصر کما قال [انا خلقنا الانسان من نطفۃ امشاج نبتلیہ فجعلنٰہ سمیعا بصیرا انا ہدینٰہ السبیل اما شاکرا واما کفورا] ای ان لم یستعمل ما اعطاہ الرب کان کفورا) وختم علی سمعہ وبصرہ وجعل علی قلبہ غشاوۃ فمن یہدیہ من بعد اللہ افلا تذکرون] ای بعد ان اعرض عن ربہ اطاع نفسہ فصرفتہ الی شہواتہا وصارت حجابا علی قلبہ کما قال تعالیٰ [کلا بل ران علی قلوبہم ما کانوا یکسبون. کلا انہم عن ربہم یومئذ لمحجوبون (ای کما حجبوا عنہ فی الدنیا فکذلک یحجبون عنہ فی الآخرۃ والعبد یرجع الی ما صمم الیہ فاذا تعبد واللنفس صارت ہی مولاہم فیرجعون الی حقیقتہا فقال) ثم انہم لصالوا الجحیم] فلما کان الانسان علی ہذہ الحالۃ لزمہ ان یکسر ہذا الصنم ولما کان ہوی النفس ذا جہتین سبعیۃ وبہیمیۃ لزمنا ان نکسر کلتا جناحیہا فہدانا لاہانتہا بذبحین ذبح السبعیۃ وذبح البہیمیۃ. اما الاول فبالخشوع للہ والتذلل

بین یدیہ وجماعۃ الصلوۃ فان بہا یقع راس الکبر لان الخشوع من اعظم جہات الصلوۃ کما قال تعالیٰ [قد افلح المومنون الذین ہم فی صلوتہم خشعون] وایضا [واذکر ربک فی نفسک تضرعا وخیفۃ ودون الجہر من القول بالغدو والآصال ولاتکن من الغفلین. ان الذین عند ربک لایستکبرون عن عبادتہ ویسبحونہ ولہ یسجدون] وایضا [وعباد الرحمن الذین یمشون علی الارض ہونا واذا خاطبہم الجاہلون قالوا سلما والذین یبیتون لربہم سجدا وقیاما] انظر کیف قدم ذکر التواضع علی صلوتہم فان الصلوۃ تزکیۃ النفس عن کبرہا ولایخفی ان من کان دائم الذکر لربہ وکبریائہ ورحمتہ غشیتہ التواضع والرحمۃ ومثل ہذا النظم تری فی قولہ تعالیٰ [محمد رسول اللہ والذین معہ اشداء علی الکفار رحماء بینہم تراہم رکعا سجدا] وانما بدء بذکر صفۃ الشدۃ ہہنا لابطال الرہبانیۃ فان المحب لربہ کما یعظمہ ویکبرہ فکذلک یکون حبہ لذلک الامر فلا یبالی بمن خالفہ ویجاہر بہ علی رغم المعاندین فلم یقدم الشدۃ الا لدفع توہم فان الآیۃ فی صفۃ قوم علی غایۃ الاعتدال وکانت ہذہ الآیۃ فی خصائصہم حسبما جاء فی التوراۃ والانجیل فقدم مایمتازون بہ عن اصحاب موسیٰ وعیسی علیہم السلام وبذلک اینبائہ علی کمال فضیلۃ العدل والاعتدال والجمع بین الضدین ولا فضیلۃ فوقہ فلم یذکر الشدۃ الا تاکیدا لتصحیح صفۃ التواضع والرحمۃ الناشئۃ من الخضوع للرب فان خوف الرب والتواضع لہ ینفی کل خوف لسواہ کما قال تعالیٰ [فلا تخافوہم وخافون] وایضا [فلا تخشوہم واخشون] وفی ذلک آیات کثیرۃ واما الثانی فبالنزوع عما تلتذ بہ النفس وتحبہ فی ہذہ الحیٰوۃ الدنیویۃ ولذلک ثلث مدارج الاولی بذل النفس فی سبیل الرب واکبرہ ذبح فلذۃ الکبد ولذلک ابتلی ابراہیم بذبح بکرہ واحب اولادہ وہو اسمعیل علیہ السلام فانہ لما بشر باسحق قال "یحیی اسمعیل"، قولا مفصحا عن غایۃ حبہ لہ. والثانیۃ تحمل المشاق والاذی فی

طاعة الرب وترک اللذائذ فان ذلک احب الی النفس بعد الحیٰوة ومن ہذا الباب الصوم وہذہ الدرجة الثانیة نہایة الضعفاء من باب النحر ولذلک حین سئل المسیح علیہ السلام عن اکبر الدرجات فقال لا یحصل ذلک الا بالصلوٰة والصوم. والثالثة بذل المال الذی ہو مفتاح الملاذ. والزکوٰة من ہذا الباب فاما الانفاق فی سبیل الخیر بما یزید علی الزکوٰة المفروضة ففیہ ایضا ابطال آلة الکبر. ولما کان المقصود من ذبح البہیمة فطام النفس عما یعبدہ للذتہ لزمہ ان یکون مما تحبہ النفس فلذلک قال تعالیٰ [لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون] وہکذا امر بتسمین الاضاحی وبین حقیقة ذلک حین ابتلی ابراہیم بذبح احب خلق عندہ. ولما کان بذل المہج ہو کمال ہذا الذبح جعل اہراق الدم امارتہ. فتبین مما ذکرنا ان الصلوٰة والنحر طرفان لذبح النفس والی ذلک یشیر ما جاء فی الحدیث "قربان ہذہ الامة دماؤہا وصلوٰتہا" ای بذل مہجہم وصلوٰتہم.

والوجہ الرابع ان الصلوٰة والنحر تتضمن احدہما الآخر فالصلوٰة من وجہ نحر والنحر صلوٰة. اما کون الصلوٰة نحرا فقد تبین مما مر انفا من کونہا ذبح البہیمة ثم ہی ایضا تحمل النفس مشقتہا وتکفہا عن لذتہا وراحتہا فذلک من ذبح البہیمة. واما کون النحر صلوٰة فقد مر ان حقیقة النحر ہی بذل النفس فی سبیل اللہ ولا یخفی انہ صلوٰة فی صورة اخرے فان بذل المہجة فی سبیل الرب اقرار وتصدیق بالایمان ولذلک سمی شہادة وایضا ہو غایة الخضوع والطاعة فتضمن اوفی حظ من الصلوٰة اقرارا بالتوحید وخضوعا للرب. ثم جعل للتضحیة من الآداب ما یدل علی کونہا صلوٰة وذلک امور: الذبح بالمصلی وبدؤہ ببسم اللہ واللہ اکبر وتوجیہ القربان والمقرب الی القبلة ورعایة القیام فی البدن والسجود فی الکباش. وقراءة دعاء افتتاح الصلوٰة کما جاء فی القرآن [انی وجہت وجہی للذی فطر السمٰوٰت والارض حنیفا وما انا من المشرکین]

وایضا [ان صلوتی ونسکی ومحیای ومماتی للہ رب العلمین ۔ لاشریک لہ] وقد نبہنا القرآن علی ہذا الامر فذکر فی قصۃ تضحیۃ ابراہیم [فلما اسلما وتلہ للجبین] ای توجہا الی الرب ظاہرا وباطنا ثم جعلہ ساجدا وکذلک ذکر فی امر النحر [والبدن جعلنٰہا لکم من شعائر اللہ لکم فیہا خیر ۔ فاذکروا اسم اللہ علیہا صواف] ای قیاما کما تصفون فی الصلوۃ ۔ وکذلک ذکر فی امر الزکوۃ التی ہی من ابواب التضحیۃ کما [ویؤتون الزکوۃ وہم رٰکعون] ای یعطون بہیأۃ تظہر خشوعہم لا کمن یعطی ریاء وسمعۃ وفخرا ۔

والوجہ الخامس ان الصلوۃ والنحر کلیہما ذکر للہ تعالیٰ اما الصلوۃ فظاہر انہا للذکر کما جاء فی کثیر من الآیات مثلا [واقم الصلوۃ لذکری] ایضا [وذکر اسم ربہ فصلی] ۔ واما کون النحر ذکرا فایضاً دل علیہ القرآن حیث قال [ویذکروا اسم اللہ علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] وایضاً [کذلک سخرہا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم] ای ہداکم الی دین التوحید والاسلام ۔ فکما نذکر اللہ بالتکبیر فی الصلوۃ فکذلک عند النسک ۔

والوجہ السادس ان کلیہما شکر اما الصلوۃ فکونہا شکرا ظاہر حتی عبر عنہا بہ کما قال تعالیٰ [فاذکرونی اذکرکم واشکروا لی ولا تکفرون] ومعظم الصلوۃ قرأۃ سورۃ الفاتحۃ وبناؤہا علی الشکر ۔ واما النحر فانا نعلم ان اللہ سبحانہ وتعالیٰ غنی عن العالمین [وہو یطعم ولا یطعم] وانما نتقرب الیہ مما انعمنا بہ اعترافا بان ما عندنا ملکہ ونعمتہ ولذلک نقول عند التضحیۃ "منک ولک"، ولذلک قال تعالیٰ [کذلک سخرنٰہا لکم لعلکم تشکرون] وکما ان الصلوۃ شکر عام علی جمیع نعمہ الظاہرۃ والباطنۃ فکذلک الذبح لیس شکرا علی ما رزقنا من المنافع الدنیویۃ بل علی ما ہدانا الی دین الاسلام ووفقنا لطاعتہ ولذلک قال [لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم]

والوجہ السابع انہما کلیہما من التقوی اما الصلوۃ فان العبد لا یزال یذکر ما تعلق

به رجاؤه وخوفه والصلوٰة بهذا الذكر فيتضرع العبد ويتخشع لما يبغي رضي ربه ويخاف سخط والى هذا التيسير قوله تعالىٰ [وان اقيموا الصلوٰة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون] واما كون التضحية من التقوى فذلك انّ تسلّط الانسان على البهائم اشبه شي بالتعبيد فوجب ان ينفي هذا التوهم بالتخشع والاقرار بالعبودية وان النعمة والربوبية والملك لله تعالى وصفة التقوى جماع هذه الامور فصارت سر التضحية فالعبد في الحقيقة يتقرب الى ربه بالتقوى ولذلك لا يتقبل التضحية الا بها كما قال تعالى في امر القربان [انما يتقبل الله من المتقين] وايضًا في الحج [وتزودوا فان خير الزاد التقوى] وانما سمي التقوى زادا لانها تبلغه منازل قرب الرب والتقريب للتقرب كما نذكره في الوجه الحادي عشر فلا بد فيه من زاد التقوى ۔

والوجه الثامن انها من منازل الآخرة فانّ الصلوٰة رُجوع الى الله وصورة لوقوفنا بين يديه في المحشر ففيها خلسة من المعاد فمن كان مصليا كان ذاكرا لرجوعه الى ربه وهذا نفهم من قوله تعالىٰ [وانها (اى الصلوٰة) لكبيرة الا على الخٰشعين الذين يظنون انهم ملٰقوا ربهم وانهم اليه راجعون] فمن علم بانه راجع الى ربه ومسئول عن عمله رجع اليه وتاب غشيته هيأة الخشوع والوقوف في الآخرة كما قال تعالى [قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة] وقال تعالى [قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون] وايضا [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] ويشبه قوله تعالى [ان الانسان ليطغىٰ ان رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى (اى كيف يستغنى وهو محضر) ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى] ثم علمنا القرآن انا نستجيب دعوة الرب فنخرج من القبور حامدين لله كما قال تعالىٰ [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فهكذا المصلون يسجدون ...

دعوة الصلوة ويصفون لله حامدين . واما النحر فهو ايضاً رجوعنا الى الله كما مر فى الوجه الثانى والثالث والآن ننظر اليه من وجه آخر وذلك ان اجسامنا سخرت لنا كالبهائم فهى الركوب والرفق الى اجل مسمى ثم ترجع الى الرب فهى كما قال تعالى فى امر البهائم [لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق] وايضاً كما نسوق البدن الى ذلك البيت نسوق ابداننا اليه كما قال تعالى [واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق] وكما نحرم الهدايا ونجعل لها شعارا فكذلك نفعل باجسامنا وانما لا تنحر جسومنا فانا نفديها بالبدن كما فدى اسمعيل بما ذبح عوضا منه ولكن الله تقبل هدية خليله بما اتخذ اسمعيل خادما لبيته فكذلك نفدي اجسامنا ولكن لا ترد الينا بل ناخذها امانة فنبذلها ونهريق مهجتها فى سبيل الله وقد نبهنا القرآن على هذا السر حيث قال [ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم] فاشترانا الله بحبر دبيعة الاسلام ونحضر على باب بيته لتجديد ذلك بمس الحجر الاسود ونوكد عهد ابراهيم واسمعيل وكوننا قرابين لله تعالى. ثم اجتماعنا فى الحج اظهر تصوير لوقوفنا فى المحشر. فصلوتنا واجتماعنا لذكر الله والحج والنحر يشبه بعضها بعضا فى نسبتها بالمعاد .

والوجه التاسع انها من ابواب الصبر. اما الصلوة فلان العبد يداوم عليها مطمئناً بوعد الله كغارس يقوم على غرسه يسقيه ويخدمه ينتظر ثمره وينظر رفاهية الغافلين فلا يهن ولا يكل بل لا يزال يقوم لربه ويحمده ويشكره ولا يبالى باستهزائهم به جانه للغائب البعيد فكل ذلك لشدة عزمه وصبره على العاقبة ولهذه الجهات جمع القرآن الصبر والصلوة فى آيات كثيرة كقوله تعالى [واستعينوا بالصبر والصلوة] ودل على

ماذکرنا آنفا قولہ تعالیٰ [فاصبر علی ما یقولون وسبح بحمد ربک قبل طلوع الشمس وقبل غروبہا ومن آناء الیل فسبح واطراف النہار لعلک ترضی ، ولا تمدن عینیک الی ما متعنا بہ ازواجا منہم زہرۃ الحیوۃ الدنیا لنفتنہم فیہ ورزق ربک خیر وابقی، وامر اہلک بالصلوۃ واصطبر علیہا لانسئلک رزقا، نحن نرزقک . والعاقبۃ للتقوی] وایضاً [والذین صبروا ابتغاء وجہ ربہم واقاموا الصلوۃ] وایضاً [فاصبر ان وعد اللہ حق واستغفر لذنبک وسبح بحمد ربک بالعشی والابکار، ان الذین یجادلون فی آیات اللہ بغیر سلطن اتہم ان فی صدورہم الا کبر ما ہم ببالغیہ فاستعذ باللہ انہ ہو السمیع البصیر] فنبہنا علی موضع الصبر من التمسک بالوعد والتوکل علی الرب وتحمل الاذی وانتظار الفلاح . واما النحر فہو مبنی علی تعلیم الصبر العظیم الذی ظہر من ابراہیم علیہ السلام فانہ رضی بربہ وفضلہ ولم یعط ولدا حتی کبر ثم لما اعطاہ اللہ الولد وجعلہ قرۃ عینہ فطرۃ ولمخائل حسناتہ ابتلاہ بذبحہ فما تزعزعت قدم صبرہ بل شکر للرب لما طلب منہ احب خلق عندہ . فصبرنا علی الصلوۃ کصبرنا عند احتمال کل مصیبۃ . ودل علی ہذا الربط بین الصلوۃ والصبر عند احتمال ما یبتلی اللہ بہ عبادہ من اہانۃ النفس وما دونہا قولہ تعالیٰ [یاایہا الذین آمنوا استعینوا بالصبر والصلوۃ، ان اللہ مع الصابرین . ولا تقولوا لمن یقتل فی سبیل اللہ اموات بل احیاء ولکن لا تشعرون . ولنبلونکم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر الصبرین الذین اذا اصابتہم مصیبۃ قالوا انا للہ وانا الیہ راجعون . اولئک علیہم صلوات من ربہم ورحمۃ، واولئک ہم المہتدون . ان الصفا والمروۃ (المروۃ ہی محل تقریب ابراہیم ابنہ کما بیناہ تحت ہذہ الآیۃ فی محلہا) من شعائر اللہ فمن حج البیت او اعتمر فلا جناح علیہ ان یطوف بہما ومن تطوع خیرا فان اللہ شاکر علیم] فجمع فی ہذا الکلام الصلوۃ والصبر والجہاد والمصائب والذبح

ابراہیم علیہ السلام لما فیہا من الربط الحقیقی۔

والوجہ العاشر اقرار الملک والتعبد وہذا فی الصلوٰۃ ظاہر فانہا بنیت علی اقرار الشکر والربوبیۃ واما التضحیۃ فہی اقرار بذلک بلسان الحال کانا نقول ان الملک والنعم للہ تعالیٰ نفوسنا واموالنا کلہا للہ فلا بد ان نفوضہا الیہ ونحبسہا لطاعتہ وناخذ منہا علی سبیل الہبۃ منہ تعالیٰ فنقر باحسانہ ونضعہا حیث امرنا ولا نشرک فیہا احدا۔ فنعبدہ۔ نصلی ونقدم الیہ ما اعطانا فانہ ہو الخالق والواہب کماہدانا نقول [انا للہ وانا الیہ راجعون] ای نحن ومالنا للہ فلہ الحکم والمنۃ۔ ولنا الخضوع والشکر والیہ نرجع کما یرجع الاموال الی مالکہ۔ ولذلک لا یحل لنا التمتع بشیٔ حتی بانفسنا الا بذکر اسمہ والاقرار بکونہ عطیۃ من اللہ۔ وتعلیما لہذا الاصل العظیم جعل علینا فریضۃ النسک لنذکر اسمہ علی ما رزقنا من الانعام مسخرۃ لنا کما قال تعالیٰ [ولکل امۃ جعلنا منسکا لیذکروا اسم اللہ علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] وایضا [کذلک سخرہا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدٰکم] ولکون التصرف فی الحیوانات شبیہا بتعبیدہم فرض ذکر اسمہ فی الذبائح وکذلک کل ما اخرج لنا من الارض جعل فیہ حقا لکیلا نغفل عن کونہ من نعم اللہ کما قال تعالیٰ [کلوا من ثمرہ اذا اثمر وآتوا حقہ یوم حصادہ] ولذلک حرم علینا الاسراف فان کل ما فی ایدینا لربنا ولذلک جعل النسک مبنیا علی سنۃ ابراہیم الذی شہد بکون الملک للہ فادی الی الرب امانتہ وصدق بان کل ما عندہ حتی نفسہ وولدہ فہو من الرب تعالیٰ۔

والوجہ الحادی عشر ان العبد یتقرب بہا الی الرب۔ وذلک ظاہر جدا فان الصلوٰۃ من اظہر امورہا انہا توجہ الی الرب ورجوع الی حضرتہ فالمصلی یری نفسہ متمثلا بین یدی الرب یناجیہ ویخاطبہ ویتضرع الیہ۔ لا یلتفت یمینا وشمالا فلیس ان الصلوٰۃ ذریعۃ التقرب بل ہی عین التقرب۔ ودل علی ذلک

قوله تعالی [واسجد واقترب] ولذلک صارت رأس العبادات. وأری ان الصلوة فی اصل معناها القربة القریبة والاقبال علی الشئ والدخول فیه. فیقال للفرس المتصل بالسابق المصلی وللجالس حول النار یقربها الصالی وکذلک لمن دخل فی حرها. وهکذا الامر فی القربان فان المتقرب یاتی بقربانه الی موضع یری ان الرب قدسه واختصه لعبادته ولذلک کان للقربان موضع خاص. لا یحل فی شریعة الیهود ان یقربوا فی غیر بیت المقدس. اما المسلمون فکما جعلت لهم الارض کلها مسجدا فکذلک یحل لهم التضحیة فی کل مکان. ومع ذلک کما ان للصلوة فی المسجد فضلا فکذلک فضلا للنسک فی المصلی. وقد جعل الله لقربان ابراهیم مکانا خاصا وابقاه لنا سنة فنهدی البدن الی منحره کما ناتی مسجده الذی بناه للصلوة وکل ذلک لیرسخ فی قلوبنا انا کالعبید نسعی الی المولی ملبین دعوته متقربین قرابیننا کلها مرضاته واقرارا لعبودیتنا له. ولذلک سمی القربان قربانا کما سمیت الصلوة صلوة. والی هذا الذی ذکرنا الماع فیما قال النبی صلی الله علیه وسلم "سمنوا ضحایاکم فانها مطایاکم" وبذلک دل ایضا علی ان تقریب الابل مما یخص بهم راجع الفصل الثانی.

والوجه الثانی عشر ان الصلوة والنحر اعظم طرق العبادات واقدمها وارسخها فی فطرة الناس. فتری السجود والرکوع وتقدیم النذور لاظهار التعبد فی کل ملة ونحلة سواء عبدوا الله الواحد او الهة متعددة اوروحا اوصنما او عظموا انسانا کالٰہ معبود. لا شک ان بین الاقوام المهذبة والوحشیة وبین اهل الحق والباطل فرقا عظیما وکذلک بین صلوتهم ونسکهم بعدا شاسعا ولکن مع ذلک لکلهم نسکا وصلوة ما وهذا کما انهم مختلفون فی مفهوم الاله مع اتفاقهم فی امر عام من مفهوم المعبود ولا نری هذا الاتفاق بینهم فی سائر العبادات. وقد مر فی الوجه الاول ان الایمان والاسلام لیمان جمیع الخلق. ان الصلوة والنسک صورتان لهما

فالآن ترى ان الناس انبثوا من نقطة واحدة فى الدين والعبادة وانما تشعبت بهم الطرق لدخول الظنون والاهواء فاختلفوا بافراط وتفريط وافساد وتخليط.

(تفصيل لما ذكرنا من اختصاصنا بهذا العطاء والامر بالصلوة والنحر معا)

١١ - قد علمنا ان للصلوة تقدما على النحر كتقدمها على سائر العبادات ولذلك قدمها الله فى الذكر ومن تامل فيما ذكرنا من وجوه المناسبة بينهما تبين ذلك وايضا تبين رفيع محلها فلا حاجة الى اعادة ما سبق ولكن بقى لنا ما دل عليه اختصاصنا الكوثر والامر بالصلوة والنحر معا وذلك ثلاثة امور الاول فضيلة هذه الملة على سائر الملل والثانى انحصار توبة اليهود والنصارى فى قبول هذه الملة والثالث كون المسلمين لا غيرهم ورثة ابراهيم عليه السلام. واما بيان هذه الامور فاعلم ان اهراق الدم كان هو طريق التقرب الى الله فى الاديان القديمة وكان بمنزلة الصلوة لهم والى هذا مالت اليهود فلم يذكروا الصلوة اصلا وذكروا التسبيح بالكناية فقط وذلك لان طرف العقل كان غير بالغ فيهم حتى يكفيهم محض التوجه بالقلب. فتقديم الصلوة وجعلها مخ الدين دليل على عروج الديانة ولكن الطباع متفاوتة فطرة حتى ان قوما ولو بلغوا اذروة الحكمة توجد فيهم افراد كثيرة على ابتداء المدارج فمع الزام الصلوة وتكثيرها لم يبطل الاسلام الذبح بالكلية حتى انه لم يبطل ايضا طرق الاقدمين الذين جعلوا الديانة محض رهبانية فابقاها الاسلام فى الحج. فان صح ذلك رأيت دين النصارى على طرف مقابل لليهود. فان لهم صلوة فقط ولا نسك. وليس لهم ان يدعوا بلوغ كمال الديانة فان الكمال هو الوسط ولا خير فى الغلو ولذلك تراهم ادّتهم هذا الغلو حيث صاروا اسفل من اليهود ايضا فى معظم امر الدين وهو الايمان كما ان اليهود ادون منهم فى الاعمال. فلهذه رعاية الوسط ووضع كل شئ محله ترى الصلوة اكثر شئ ذكرا فى القرآن ولا تجد كلمة النحر الا فى هذه السورة ولم يذكر التضحية الا تبعا فى مواضع

معدودة . فجاجمع الله لنا الصلوة والنحر وبادل على سرهما وموضعهما ومقدارهما اعطانا من العلم ما نستدل به على فضيلة هذه الشريعة الجامعة على الملل السابقة . أما المشركون والملاحدة فلا صلوا لله ولا قربوا . وأما النصارى واليهود فليس انهما حرما ركنا واحدا فقط بل افضى امرهما الى تمام الحرمان لما انهما بقيا على ملة كانت لاجل معدود . وبيان ذلك ان دين النصارى كان دين التجرد والخمول واشتغال كل امرء بخصيصاه . فلم يعطوا الجهاد واتبعوا بالصلوة والصوم والزكوة وامروا بان يخفوها فمع كون ذلك اصلح بتربيتهم لم يتبين فرائضهم وسننهم ففاتت حتى انهم ضيعوا كلها فما امرهم هذه الاناجيل بصوم ولا صلوة بل يصرح بانها مستحبات فقط وخلاف ذلك تامرهم بترك التدبير والكسب والانتصار . واذ ضيعوا قسطا مما اعطوا [ونسوا حظا مما ذكروا به] فنشأت في مكانه بدعاتهم المكاشفة فزعموا ان النسك انما رفع عنهم لان المسيح صار لهم قربانا وزعموا حسبما وجدوا في شريعة اليهود ان لا سبيل الى كفارة ذنب من غير اهراق دم فزعموا بان المسيح كفر عنهم فلزمهم احد الامرين وكلاهما اشنع من الاخر . وذلك اما ان يقولوا بان المسيح كفر ايضا ذنوبهم المستقبلة وقد ذهب اليه طائفة فزعموا ان الايمان بالمسيح يكفي للنجاة وذلك اشنع ارجاء وأما ان يقولوا ان الذنوب المستقبلة لا مغفرة لها وقد ذهب اليه طائفة واعتقد به امام هؤلاء النصارى بولوص وذلك اشنع بكثير من شناعة المعتزلة الذين غلوا في خلاف الارجاء . ذلك . وأما اليهود فمذهبهم التصريح بامرين الاول ان لا مغفرة الا بالضحية والثاني ان الضحية لا تصح الا في هيكلهم وقد اخرجه الله عن ايديهم . فقد غلق عليهم شريعتهم باب التوبة غير ان يومنوا بالنبي الموعود الذي وكل رجاءهم اليه وعرفه لهم انبياءهم . وقد حكى القرآن هذا الوعد الالهي عند ذكر تقصير اليهود عن تحمل الشريعة الكاملة واستغفار موسى لهم فقال تعالى [قال عذابي

اصیب بہ من اشاء ورحمتی وسعت کل شی فساکتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوۃ و
الذین ہم بآیاتنا یومنون . الذین یتبعون الرسول النبی الامی الذی یجدونہ مکتوبا
عندہم فی التوراۃ والانجیل] ومما ذکرنا یتبین لک ان ہذہ الآیۃ الواحدۃ بکلماتہا
الثلث تربو علی جمیع الادیان فان وضعت الیہودیۃ والنصرانیۃ فی کفۃ وہذہ الآیۃ فی
کفۃ آخری لترجحت علی الیہود باولہا وعلی النصرانیۃ بآخرہا وعلی سائر الادیان بوسطہا
لکون قرابینہم لغیر اللہ ولانکارہم بکون اللہ ربہم فانہم اتخذوا لہم اربابا دون اللہ
الاعلی الاکبر . ومع ذلک دلت بنظمہا علی احسن طریق للدیانۃ والسلوک الی
الرب وہو ذکر الرب والتوجہ الیہ فی کل حال وبکل صورۃ وعلی قدر یناسب الاحوال
والازمنۃ .

ولما اورث اللہ نبیہ واتباعہ وراثۃ ابراہیمؑ وقطع عن ہذہ الوراثۃ الخاصۃ الیہود و
النصاری امرہم بما یخص ہذہ الامۃ من الصلوۃ والنحر . فان ابراہیمؑ بنی مسجدا
لا مذبحا کما ہو ظاہر وکما قال تعالی [طہرا بیتی للطائفین والعاکفین والرکع السجود]
فالصلوۃ ہی الغایۃ الاصلیۃ . واما النحر فجعلہ تذکار الاسلامہ واسلام ابنہ
اسمعیلؑ فجعل موضعہ المروۃ التی قرب علیہا ابنہ البکر ثم ابقاہ سنتہ لاطعام
الحجاج لبیت الرب ومع ان عبادۃ الیہودیۃ انحصرت فی التضحیۃ لم یجعلوہا
الا عبادۃ ظاہرۃ خالیۃ عن الحقائق والاشارات التی ہدانا القرآن الیہا و
لیس عندہم اثرا ولا قول ما یدل علی ان ذبحہم تذکار لذبح اسحق ثم کتابہم
نفسہ یبطل دعواہم من وجوہ کما ہو مبسوط فی موضعہ . ولما کان الامر ہکذا
حسن اختیار کلمۃ النحر الذی یدل علی ذبح الابل التی کانت محرمۃ علی الیہود
خاصۃ وتفصیل ہذا البحث موکول الی تفسیر سورۃ البقرۃ وآل عمران . فنحر
الابل لیس فیہ نصیب للیہود فہذہ اضحیۃ ابراہیمیۃ مخصوصۃ باولاد اسمعیل ببیت اللہ

الذي اسكن عنده هذه الذرية -

(في تاويل كلمتين "شانئك" و "الابتر")

١٢- قبل تاويل الآية الاخيرة ننظر في كلمتين شانئك و الابتر. اما الشانئ فلكونه مضافا الى المعرفة صار معرفة ولا يلزم المعرفة ان يكون معينا ولكن بعض المفسرين حاولوا التعيين واستنبطوه من طريق النظر في اسباب الامور فاختلفت اقوالهم فيه كما يقع كثيرا في مثل ذلك فروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد و قتادة انه العاص بن وائل وذلك لانه قال انا شانئ محمد. وروي عن شمر بن عطيه انه عقبة بن ابي معيط لما انه كان يقول انه لا يبقى للنبي ولد وهو ابتر. وروي عن ابن عباس وعكرمة ما يدل على ان المراد به قريش. فنقول ان هذا الاسم وان كان في نفس الامر اولى برجل مخصوص وكان هو اول داخل في مصداق الآية ولكن اذ لم يرد الله تفضيحه بالتصريح سكتنا عن تسميته. وهذا الغرض ارادة المعين ولكنها غير لازمة كما مر. ولاشك ان اسلم الطرق ان نضع زمام الاستنباط في يد القرآن فنتوجه حيث يقودنا نصه واقتضاؤه ونظمه وسياقه. و قد رأينا في السورة السابقة ان سمت الكلام الى قريش الذين كانوا اولياء بيت الرب وقد خانوا في امانتهم. ثم نجد الرواية المؤيدة لذلك اوثقها. ثم دلت الحالات على كون قريش اولى بهذا الاسم. ثم ذلك هو المقتضى للكلام السابق حسبما بيّنا من تاويله. وبناء على ما ذكرنا من الوجوه ينبغي ان يراد به اوّلا و بالذات قريش ثم يراد به كل من كان متصفا به. فان خصوصيات موقع النزول لا تمنع الكلام عن سعة معناه الذي دل عليه. فهذا جملة القول في هذه الكلمة وسياتيك لها مزيد بيان اذا اشرعنا في تفسير الآية ان شاء الله تعالى.

و اَمّا الابتر فمعلوم انہ صفۃ من البتر و ہو القطع و للکلمۃ استعمالات شتی و النظر فیہا یعینک علی استنباط المعنی المراد ہہنا فنذکر استعمال ہذہ المادۃ حسب ترتیب معانیہا یقال سیف باتر ای قاطع و بتار قطاع. بتر فلان رحمہا قطعہا. الاباتر قاطع الرحم. ابتر الرجل اذا اعطی ثم منع. الحجۃ البتراء القاطعۃ. فی حدیث الضحایا انہ نہی عن المبتورۃ و ہی ما قطع ذنبہا. الابتر من الحیات نوع منہا قصیر الذنب. الابتر من لاعقب لہ. فی الحدیث کل امر ذی بال لم یبدء بسم اللہ فہو ابتر. الخطبۃ التی لم تبدء بذکر اللہ و الصلوۃ علی رسولہ سمیت بتراء. الابتر ما لا عروۃ لہ من المزاد و الدلاء. الابتران العیر و العبد. البتیراء الشمس اذا بہرت و ذہبت قرونہا و نبلہا فالنظر فی ہذہ الانحاء یدلنا علی ان الابتر ہو المقطوع عما یعظمہ و یمدہ حتی ان الشمس اذا بہرت ذہبت عنہا نبلہا و انجردت قرصا صغیرا سمیت بتیراء. وکذلک من بتر رحمہ و انقطع عن عصبتہ و انصارہ سمی ابتر و لذلک سموا العیر و العبد الابترین لقلۃ ناصرہما. وعلی ہذا الاصل قال قتادۃ فی تفسیر ہذہ الآیۃ "الابتر الحقیر الدقیق الذلیل" فتبین ان معنی ہذہ الکلمۃ تدرج من المقطوع الی الصغیر القصیر و الی المخذول الحقیر. ہذا و الآن نتوجہ الی تاویل الآیۃ بعون اللہ تعالی.

(تاویل قولہ تعالی "اِنَّ شَانِئَکَ ہُوَ الْاَبْتَرُ")

۱۳- لایخفی ان قولہ تعالی [ان شانئک ہو الابتر] جواب و رد علی من طعن فی النبی انہ ابتر و ہکذا فہمہ المفسرون. و اَمّا مراد الطاعن بقولہ ہذا فیقتضی تفصیلا. فاعلم ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم بعدما ہاجر الی المدینۃ ظن قریش انہ بتر رحمہ، و ترک اکرم بیت العرب، وحرم ماکان لہ من شرف ولایۃ الکعبۃ

، وجواره فصار بزعمهم كشجر تقطع عن اصله فيوشك ان يضمحل امره وتيضاءل قدره فبشره الله بالبركة والكثرة والفتح والنصرة، وانه باطل ما زعم عدوه لهو المقطوع المخذول. ولما كان هذا الكلام رداً لزعمهم كان فيه تعريض الى ان عدوه هو يسلب الشرف الذي يتباهى به فصار اخبارا بفتح مكة. وهذا المعنى الذي هو ظاهر من جهة اللغة ونظم الكلام يؤيده ما جاء في الاخبار. قال السيوطي رح " اخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش انت سيدهم الا ترى الى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه. فنزلت ان شانئك هو الابتر. واخرج ابن ابي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال لما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش بتر محمد منا فنزلت " ان شانئك هو الابتر " واخرج احمد وغيره عن ابن عباس مثل ذلك.

واخرج ابن جرير عن ابن بشار قال حدثنا ابن ابي عدي انبانا داؤد بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة اتوه فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا. قال بل انتم خير منه فنزلت عليه " ان شانئك هو الابتر " قال وانزلت عليه " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا " و هكذا في حديث آخر عن عكرمة غير ان فيه " ونحن اهل الحجيج وعندنا منحر البدن " والمعنى واحد فانهم افتخروا بالشرف منبتهم وطيب مغرسهم عند البيت المبارك وبان فيهم خدمة البيت وعند النحر من لدن ابراهيم اصل البركات وسياتي بيانه

في الفصل ... فزعموا ان المنقطع عنهم كالصنوبر المنقطع لا تطول مدة بقائه وكانوا مطمئنين بهذا الظن الباطل معتمدين على قول رئيس اليهود حتى ازال الله عنهم الغطاء حين علموا انهم هم المخذولون المقطوعون وقد وقع ذلك الوعد حين نزلت سورة البراءة فقطع كل مشرك عن المسجد الحرام. ذلك ونذكر بعض ما دل عليه هذه الآية في الفصل الخامس عشر.

(موقع نزول السورة ودلالتها على انها بشارة بفتح مكة)

١٨ - قد مر في الفصول الاول ان السورة بشارة بفتح مكة وان استعمال الماضي في قوله تعالى [انا اعطينك] يدل على انجاز وعد الفتح الذي قرب. فانا ترى في القرآن آيات يامر الله فيها نبيه للصبر والانتظار وان الله سينصره وفي كل ذلك ابهام مثلا قوله تعالى [اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وايضا [فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون. او نرينك الذي وعدنهم فانا عليهم مقتدرون] فلم يبين للنبي هل يكون حاله كحال عيسى توفاه الله قبل النصر او كحال نوح اراه الله النصر العظيم او كحال ابراهيم ع وموسى ع اراهما الله طرفا من الفتح والبركة ووعد اتمامها عند ظهور البعثة الاخيرة فكان النبي والمومنون في ظمأ الرجاء حتى اذا نزلت هذه السورة فلق لهم الصبح وجاءتهم تباشير الفتح. فلا نفهم من هذه السورة الا انها نزلت قبيل فتح مكة او عند فتحها الاول. وهو موادعة قريش عند الحديبية. ويؤيد ذلك ما جاءنا من طريق الروايات قال ابن جرير رحمه الله "حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرني ابو صخر قال حدثني ابو معاوية البجلي عن سعيد بن جبير انه قال كانت هذه الآية يعني قوله [فصل لربك وانحر] يوم الحديبية اتاه جبريل عليه السلام فقال الخروج

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف الى البدن فنحرها فذلك حين يقول [فصل لربك وانحر] قال السيوطي رحمه الله بعد ذكر هذا الحديث «قلت فيه غرابة شديدة»، ولم يذكر وجه شدة الغرابة اعتمادا منه على ظهورها لما توهم رحمه الله ان هذا القول يخالف الامر المشهور من وجوه مختلفة ولكنها وجوه ناشئة من التوهم زائلة بعد التأمل الصحيح فلنذكرها مع التنبيه على ضعفها ليتضح الحق الصريح: فالاول ان السورة مكية ويوم الحديبية كان بعد الهجرة ويرتفع هذا الوهم ان السور التى نزلت بعد الهجرة عند مكة ايضا تسمى مكية كما صرح به العلماء. والحديبية بقرب مكة فان بينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين مدينة تسع مراحل. وهى من الحرم. والثانى ان يوم الحديبية كان بعد مضى خمس سنين وعشرة اشهر من الهجرة وقتل كعب بن الاشرف فى السنة الثالثة وقد روى ان قوله [ان شانئك هو الابتر] كان فى الذين سألوا كعبا اهم خير ام هذا النبى كما مر فى الفصل السابق فكيف يصح ان السورة نزلت فى يوم الحديبية. ويرتفع هذا الوهم ان قولهم نزل فى كذا لا يدل على الوقت بل على مطابقة الآية بحال خاص فقوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] ناظر الى كل من كان شانئا له سواء فيه من مضى ومن يأتى الى يوم القيامة. وحين نزلت هذه الآية كان اعداؤه الذين ماتوا بالذلة والهوان شالا لمن بقى ولم تنفك قريش بعد مكالمتهم بكعب موقنين بكون النبى كما قال ذلك الفاسق حتى جاء الفتح وتبين ان اعداء النبى هم المخذولون فمن قال ان آية [ان شانئك هو الابتر] فى قريش الذين زعموا الكعب ما زعموا انما ذكر مطابقة هذه الآية بحالهم لا ان الله تعالى رد عليهم طعنهم من غير مهلة. والثالث ان الآية الاخيرة ناظرة الى عقبة بن ابى معيط لطعنه فى النبى بانه لا يبقى له ولد وهو ابتر. وعقبة هذا اسر فى يوم

بدر وقتل فيمن قتل من الاسارى لى ديرتفع هذا الوهم بما ارتفع به الوجه الثانى ۔
مع ان الآية لاترى تاويلها الى هذا الظن ۔ ولاترى ان الابتر ههنا لمن لاعقب له
لسخافة هذا التاويل وبعده عن النظم وضعفه من جهة الرواية ايضا۔ فارتفعت
الغرابة عن قول سعيد بن جبير، وتبين صوابه ۔ ثم يوافقه ماروى عن محمد بن كعب
القرظى فى تفسير الآيتين السابقتين حيث يقول "ان اناسا كانوا يصلون
وينحرون لغير الله فاذا اعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلوتك ونحرك الالى"
فكانه بهذا القول بين ان قريشا شقوا بهذا الكوثر بانهم لم يودوا حقه فتنزعه عنهم و
نعطيكه فاذا اعطيناك وقد اعطيناك فادِ حقه ۔ ولايخفى ان الامر بامتثال حكم متفرع
على واقعة يدل على ان الواقعة قد وقعت او سيقع كما قال تعالى [اذا جاء نصر الله
والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و
استغفره] فلم يفهموا من ذلك الا انها نزلت عند الفتح وعند دخول الناس
فى دين الله افواجا ۔ فهكذا نفهم من قول محمد بن كعب رحمه الله "اذا اعطيناك
الكوثر" الخ اى قد اعطيت وقرب ظهوره ۔

(النظر فى السورة من حيث مجموعها)

۱۵- ان صح عندك هذا التاويل الذى قدمنا ثم تاملت السورة بمجموعها ونظرت
فى حدود آياتها اطلعت بادى بدء على قضايا آتية ۔۔ الاولى ان الله تعالى
اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم وراثة ابراهيم، واظهر فيه اجابة دعائه فجعل لها
ورثة من امته ۔ والثانية انه قد سلب الله هذا العطاء كل خائن كفور فانه
ساخط بهم كما صرح به فى سورة الحج ۔ والثالثة انه اذ ربط القطع عن هذا
العطاء بصفة خاصة دل على علته ۔ فتبين ۔ ان عداوة النبى يقطع عن بركة الله

والرابعة انه بما جعل ہذا الحرمان مخصوصا باعدائہ دل علی ان الفائزین بوراثتہ ہم احباءہ فحصلت لنا علامۃ بین اہل الحق والباطل والمتبعین لہدی اللہ وسنۃ رسولہ والزائغین عنہا فالابتر من ہذہ الوراثۃ داخل فی شانئیہ. والخامسة انہ کما جعل الصلوۃ والنحر شعار احبائہ جعل ترکہا شعار اعدائہ من المشرکین والیہود ومبتدعۃ النصاری والمبتدعۃ من ہذہ الامۃ. فمنہم من یستخف بالصلوۃ، ومنہم من یستخف بالحج، ومنہم من تسلل عن کل ذلک. فالمضیعون للصلوۃ والنحر والحج ہم الاعداء للنبیؐ والمقطوعون عن وراثتہ والمخذولون کالیہود والنصاری ولکن فی الاسلام بقیۃ من اہل الحق والسنۃ ونرجو ان یکثرہم اللہ ویبعث منہم من یعزبہ الاسلام، وما ذلک علی اللہ بعزیز وقد قال عز من قائل [وان تتولوا یستبدل قوما غیرکم ثم لا یکونوا امثالکم] ومما ذکرنا قد تبین ان السورۃ بشارۃ[1] بفتح مکۃ کما قدمنا فی الفصول المتقدمۃ. وہی ایضا[2] انذار لاعداء النبیؐ بکونہم مقطوعین عن وراثۃ ابراہیمؑ. فاول السورۃ وآخرہا جاءتا علی اسلوب المقابلۃ ووسطہا کالبرزخ بینہما ناظرۃ الیہما ای من قام بالتوحید وصلی ونحر اعطی الکوثر، ومن خالف ذلک بتر عنہ، فمثل السورۃ کمیزان ذی کفتین ولسان، ففی کفۃ خیر کثیر فما اثقلہا، وفی کفۃ بتر کبیر فما اخفہا فتوازنہما کتوازن الوجود والعدم، وکما ان اللسان یتجہ الی الجانب الثقیل فکذلک الآیۃ الوسطی تتجہ الی الآیۃ الاولی، ولذلک وصلہا بالفاء وجعل الآیۃ الثالثۃ مفصولۃ، فدلت باسلوبہا ایضا علی قطع اعداء النبیؐ عن الکوثر المخصوص باحبائہ.

بشارة الرضوان لامته صلى الله عليه وسلم

۱۶ - قد سبق ان المراد بهذا الاعطاء هو الاعطاء العام للنبي واتباعه كما ان الابتر عام لجميع اعداء النبي واذا كان الامر كذلك فلم تكن هذه البشارة محض غلبة الاسلام على الكفر بل كانت بشارة رضا الله على امة هذا النبي في الدار الآخرة فعبر عن هذا الفتح باعطاء الكوثر اياهم في القيمة. فلما وقع ما بشرت به السورة ظهر انهم صدقوا الله ورسوله فاجتباهم، وامتحن قلوبهم فرضي عنهم وارضاهم. وقد علمنا من تاريخ الانبياء ومن تصريح القرآن ان اول النبوة زلازل وصبر وآخرها بركات واجر فصار فتح مكة برهانا على كونهم اولياء نبيه وشهداء دينه وخلفاء ارضه فكان انجازاً لما وعدهم في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون]. (فبشر بانجاز هذا الوعد بقوله تعالى [انا اعطينك الكوثر] فتشابه القولان. ثم تجد المشابهة فيما اتبعه قوله) واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة (فان ذلك تشابه قوله تعالى [فصل لربك وانحر] و اطيعوا الرسول لعلكم ترحمون] وهذا يشبه قوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] كما سيأتيك بيانه وكذلك سورة الفتح بتمامها تخبرنا عما جعل الله لهذه الامة من الرحمة والسكينة والمغفرة والتمكن في الارض المقدسة. وهكذا جاء في صحف الانبياء لاسيما في الزبور وامثال سليمان. وقد اشار القرآن اليه حيث قال [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون] اي الارض المقدسة التي هي مثال لارض الجنة. ومكة افضل هذه الارض و

واقدمها کما ذکرنا فی تفسیر سورة آل عمران وسورة الفیل. فمنذ نزول ہذہ السورة جعل یتبین اعجازہ وعدالوراثة حتی اتمہا اللہ فنزع اللہ تعالیٰ ارضہ المقدسة عن ایدی الکفار واورثہا المسلمین وبذلک بشرہم بانہم عبادہ الصالحون ومصداق قولہ [الذین آمنوا وعملوا الصّٰلحٰت] وانہ جعلہم خلفاء فی الارض وارثین لہا ومکن لہم دینہم ونفی عنہم الاعداء طرا. وبذلک صدق فی ہذا النبی مابشر بہ موسیٰؑ بنی اسرائیل من ان النبیؐ الموعود اذا جاء طہر الارض المقدسة عن الکفار ولم یصدق ذلک فی احد من جاء من الانبیاء والملوک فی بنی اسرائیل کما تشہد بہ ما بایدیہم من صحفہم المقدسة. ولذلک کانت الیہود تنتظر لمن یطہر الارض المقدسة من الکفار کما قال تعالیٰ [ولما جاءہم کتٰب من عند اللہ مصدق لما معہم وکانوا من قبل یستفتحون علی الذین کفروا فلما جاءہم ماعرفوا کفروا بہ] فہذہ السورة إیذان ظہور تلک البشارة حتی طہر اللہ الارض المقدسة عن اعدائہ.

(برہان دائم متصل علی صدق نبوة محمد صلی اللہ علیہ وسلم)

۱۷- قدمر ان السورة اعلنت بان بناء القطع عن الکوثر ہو شنآن النبی فصار اخبارا بامر متصل دائم. واذ لیس فی حد بشر ان یبشر بدوام سلطنة علی ارض وقطع عدوہ عنہا فان الدہر لایبقی علی حدثانہ ملک ولا جیل فکم منہم طار ثم وقع والتقمہ الدہر وابتلع. فہذہ النبوة الصریحة التی نزل بہا القرآن مع کونہا بشارة عظیمة صارت لنا برہانا دائما متصلا علی صدق النبیؐ وذلک اقوی دلالة من نبوات قضت نحبہا مثل ما جاء من نبوة عیسی علیہ السلام [وانبئکم بما تاکلون وتدخرون فی بیوتکم] ومن نبوات منتظرة لم یقع الی الآن مثل نبوات

دانیال وحزقیل. والنبوة المتعلقة اخری بصاحب البعثة الباقیة فان الله تعالی لما جعله خاتم الانبیاء صدق فیه کثیرا من نبوات من قبله ومنه مجاوائمة متصلة ومن علم النبوة ان یکون خرقا للاسباب الظاهرة. وقد مران السورة انزلت یوم الحدیبیة الذی کان الغلب الظاهر فیه للکفار کما یظهر من شرائط الصلح. حتی ان بعض الصحابة اظهر للنبی کراهیة لما جری به الصلح. وانکر بعضهم صورة الکتابة حین امره النبی بمحو بعض ما کتب. فتبین ان هذه النبوة لم تکن مما یتوقع وینتظر من الاسباب الظاهرة وذلک مثل اخبار النبی بغلبة الروم بعد بضع سنین مع شدة دلالة الاسباب الظاهرة علی خلافه کما بیناه فی موضعه. وقد ذکر موسی وعیسی علیهما السلام من خصائص هذا النبی انه یخبرهم عما یقع عن قریب حتی یعرفوا انه هو الموعود کما جاء فی التثنیة اصحاح ۱۸ ''اقیم لهم نبیا وسط اخوتهم مثلک واجعل کلامی فی فمه فیکلمهم بکل ما اوصیه به ویکون ان الانسان الذی لا یسمع لکلامی الذی یتکلم به باسمی انا اطالبه واما النبی الذی یطغی فیتکلم باسمی کلاما لم اوصه ان یتکلم به او الذی یتکلم باسم آلهة اخری فیموت ذلک النبی وان قلت فی قلبک کیف نعرف الکلام الذی لم یتکلم به الرب فما تکلم به النبی باسم الرب ولم یحدث ولم یصر فهو الکلام الذی لم یتکلم به الرب بل بطغیان تکلم به النبی فلا تخف منه''، وکما جاء فی یوحنا اصحاح ۱۶ ''واما متی جاء ذاک روح الحق فهو یرشدکم الی جمیع الحق لانه لا یتکلم من نفسه بل کل ما یسمع یتکلم به ویخبرکم بامور آتیة''. فوقع فتح مکة بعد نزول هذه السورة بیسیر، ودامت واتصلت هذه النبوة فی حق المؤمنین الصالحین بشارة وفی حق اعداء النبی انذارا فجاءت هذه البشارة جامعة لوجوه من البرهان علی صدقه والحمد لله العلی الکبیر.

(تصديق ما وعد الله ابراهيم من عموم البركة وفيه المشابهة بين ابراهيم ومحمد عليهما اتم الصلوات)

۱۰ - قد تبين مما ذكرنا في الفصول السابقة ان الله تعالى اعطى الخير الكثير لنبينا و احبابه وقطع عنه اعداءه ففي ذلك تصديق لما وعد الله ابراهيم من ان جميع اهل الارض يباركون بنسله ويبارك الله مباركيه ويلعن لاعنيه فهذان امران . والاول يضاهي قوله تعالى [انا اعطينك الكوثر] والثاني يضاهي قوله تعالى [ان شانئك هو الابتر] ففي كلا الامرين مشابهة عظيمة بين محمد و ابراهيم عليهما الصلوات ، وبيان ذلك ان الله تعالى قد قضى بحكمته و رحمته ان يجمع البركات مع ابراهيم عليه السلام فانه صار وارثا لها بعد نوح ع ، كما قال تعالى [ان الله اصطفى آدم و نوحا و آل ابراهيم و آل عمران على العلمين] فاصطفى الله تعالى آل ابراهيم فقط بعد نوح فان آل عمران ايضا من ذرية ابراهيم . ثم بوسيلة ابراهيم و عد الله شمول البركات جميع اهل الارض فقد جاء في سفر تكوين ص۱۲ وقال الرب لابراهيم اذهب من ارضك ابيك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك فاجعلك امة عظيمة و اباركك و اعظم اسمك وتكون بركة و ابارك مباركيك ولاعنك ألعن وتتبارك فيك جميع قبائل الارض ، وهذا في قصة هجرة الى موضع المروة التي قرب عليها ابنه اسمعيل عليه السلام فاشار الى ان عموم البركة يكون بذريته كما صرح به في موضع آخر فقد جاء في تكوين (۲۲: ۱۶ - ۱۸) بذاتي اقسمت يقول الرب اني من اجل انك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك ۱۷ اباركك مباركة . . . . ۱۸ ،، و يتبارك في نسلك جميع امم الارض من اجل انك سمعت لقولي ،، فصرح بان اصل البركة هو تقديمه

ابنه قربانا فمع ان البرکة عمت ذریة من اسحق علیه السلام ایضا فان ینبوعها کان فی ذریة اسمعیل الذی قربه، ثم دل علی حقیقة ہذا السبب فی موضع آخر فقد جاء فی سفر تکوین ص ۱۸ " وابراہیم یکون امة کبیرة وقویة ویتبارک به جمیع امم الارض لانی عرفته لکی یوصی بنیه وبیته من بعده ان یحفظوا طریق الرب لیعملوا برا وعدلا لکی یاتی الرب لابراہیم بما تکلم به" ای البرکة التی وعدہا لابراہیم علیه السلام فعلمنا ان حقیقة الدین الذی اعطی ابراہیم ہی البر والعدل والآن فانظر کیف صدق الله ہذه الامور ببعثة نبینا صلی الله علیه وسلم فانه تعالی بعثه من ہذا الموضع الذی کان اصل البرکات ثم اعطاه ایاه واورثه شریعة البر والعدل. فجعله وارثا لابراہیم علیهما الصلوٰت وصدق فیه عموم البرکة جمیع اہل الارض لما انه بعثه لکافة الناس کما قال تعالی [وما ارسلناک الا کافة للناس بشیرا ونذیرا] وایضا [وما ارسلناک الا رحمة للعلمین] فلما جعل الله نبوته شاملة لکافة اہل الارض جعل البرکة شاملة لاتباعه الذین یبارکونه وہم الذین یبارکون ابراہیم علیه الصلوٰت وفیه تصدیق ما وعد ابراہیم "وابارک مبارکیک" وذلک بان المبارکة ہی دعاء البرکة والخیر فی الاہل والذریة فمن بارک رجلا بارک ذریته ومن بارک ذریة رجل فقد بارکه بذلک فظہر من ذلک انا نبارک ابراہیم حین نصلی علی محمد وکذلک نبارک ذریة محمد واہله حین نصلی علیه. ولذلک نقول فی الصلوٰة " اللہم صل علی محمد وعلی آل محمد کما صلیت علی ابراہیم وعلی آل ابراہیم" ای بما انک صلیت علی ابراہیم وآل ابراہیم فصل علی محمد وآله انجازا لوعدک. ولا نجد ہذا الامر بالمبارکة لغیرنا، فان الله تعالی امرنا بذلک فقال [ان الله وملئکته یصلون علی النبی یاایہا الذین آمنوا صلوا علیه وسلموا تسلیما] ولذلک نختم صلواتنا کلہا بہذه المبارکة. وأما الیہود والنصاری فلا یرون الصلوٰة فریضة، واذا صلوا فلا یبارکون فیه

علی ابراہیم ولا علی احد من ذریتہ فصارت المبارکۃ شعار امتہ محمد صلی اللہ علیہ وسلم لانا فی تشہدنا نفوض الصلوات الطیبات الی اللہ تعالی ثم نسلم بہا لجمیع عبادہ الصالحین، ونذکر بالخصوص نبینا وابراہیمؑ اعترافا لحقہما علینا وذلک من البر والعدل الذین بہا تنزل البرکات کما مر. ثم من تصدیق عموم برکۃ ہذہ الشریعۃ ان اللہ تعالی امرنا بہما بالبر والعدل بجمیع الناس، فقد قال تعالی [لاینہکم اللہ عن الذین لم یقاتلوکم فی الدین ولم یخرجوکم عن دیارکم (ای الذین ہم اعداء البر والعدل) ان تبروہم وتقسطوا الیہم ان اللہ یحب المقسطین] وقال تعالی [یاایہا الذین آمنوا کونوا قوامین للہ شہداء بالقسط ولایجرمنکم شنآن قوم علی ان لا تعدلوا اعدلوا ہو اقرب للتقوی] وکذلک تجد العموم والتساوی بین جمیع الناس فی جزئیات احکام ہذہ الشریعۃ الکاملۃ کما ہو مبسوط فی موضعہ، ولایخفی ان الکعبۃ اقامہا اللہ تعالی للبر والعدل لانہا بنیت علی التوحید والذکر والشکر للہ تعالی والمواساۃ بالناس وقد علمنا القرآن ان التوحید راس العدل کما قال تعالی [ان الشرک لظلم عظیم] وقد بینا فیما مر ان الصلوۃ والنحر للتوحید والذکر والشکر والمواساۃ فکل ذلک طرق البر والعدل، فہدانا من ہذہ الجہۃ ایضا الی ان الکعبۃ ہی منبع البرکات لکونہا مرکز التعلیم البر والعدل، وکذلک رأینا فی ہذا الفصل ان اللہ تعالی بارک ابراہیم علیہ الصلوات بوسیلۃ ہذا البیت، فہذہ الامور ایضا تدل علی ان الکعبۃ ہی ینبوع الکوثر، وہذا آخر ما تیسر لنا ذکرہ.

فی تفسیر ہذہ السورۃ وآخر دعوانا ان الحمد للہ رب العالمین، والصلوۃ علی جمیع عبادہ الصالحین

فہرس مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آنات

تطلب من مدرسۃ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڈھ